

جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية



تخصص تاريخ المغرب الحديث والمعاصر

شعبة التاريخ

زيارة الشيخ محمد حمدة
للجرائر وتونس وانعكاساتها

مذكرة مكتملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

الأستاذ المشرف

د. موسى بن موسى

إعداد الطالبتين:

أسمهان صالح

نصيرة دقعة

أعضاء لجنة المناقشة:

الصفة	مؤسسة الانتساب	الرتبة	الأستاذ
رئيس الجلسة	جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي	أستاذ محاضر أ-	د. معاذ عمران
مشرفاً ومقرراً	جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي	أستاذ محاضر أ-	د. موسى بن موسى
عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي	أستاذ محاضر ب-	د. الطاهر سبقاق

السنة الجامعية : 1438-1439هـ / 2017-2018م

جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية



تخصص تاريخ المغرب الحديث والمعاصر

شعبة التاريخ

زيارة الشيخ محمد حمدة
للجرائر وتونس وانعكاساتها

مذكرة مكتملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

الأستاذ المشرف

د. موسى بن موسى

إعداد الطالبتين:

أسمهان صالح

نصيرة دقعة

أعضاء لجنة المناقشة:

الصفة	مؤسسة الانتساب	الرتبة	الأستاذ
رئيس الجلسة	جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي	أستاذ محاضر أ-	د. معاذ عمران
مشرفاً ومقرراً	جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي	أستاذ محاضر أ-	د. موسى بن موسى
عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي	أستاذ محاضر ب-	د. الطاهر سبقاق

السنة الجامعية : 1438-1439هـ / 2017-2018م



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ

عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ۖ

وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

(الأحزاب الآية ٢٣)

الإهداء

إلى التي رافقتني بدعواتها ، إلى هبة الله وكسال الود وصفاء الحب أمي العزيزة عيشة

حفظها الله

إلى من كافح من أجل أحلامي ودفع بي إلى معارج العلم ، من صارع شدائد الحياة من أجلنا

ولم يبخل علي بشي رمز العطاء والكرم أبي الغالي عبد الرحمن حفظه الله

إلى سندي في الدنيا : حسام سيف الدين يوسف فارس لؤي

إلى كل الأهل والأقارب

إلى من شاركني حلاوة ومرارة الجامعة : أحلام نعيمة عبلة خيرة نسرين فيروز مينا، أمال

صبرينة سعيدة والي من تقاسمت معها هذا العمل نصيرة

إلى شموع الهدى نجوم العلا لولاهم لما أنجزنا هذا العمل أساتذتنا الكرام الذين رافقونا في رحلة

العلم وعلمي رأسهم الأستاذ المشرف الدكتور موسى بن موسى

إلى طلبة تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر دفعة 2018

إلى كل من أحبته قلوبنا ونسسته أقلامنا

أسمهان

الإهداء

الهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك، ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك
ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك. الله جل جلاله "إلى من جعلت الجنة
تحت قدميها إلى من أشرقت الشمس بين يديها، إلى ملاكي في الحياة، إلى معنى الحب والحنان إلى
من دعاها سرنجاحي، إلى أغلى الأحباب أُمي مسعودة أطل الله في عمرها.

إلى من كلله الله الهيبة والوقار إلى من علّمني العطاء دون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار إلى من
ستبقى كلماته نجوما اهتدي بها اليوم وغدا، وإلى الأبد أبي علي أطل الله في عمره. فمها قلت ومها
صنعت فلن أوفيها حقها، ولكن أقول فيها قوله عز وجل وقل ربي أرحمها كما ربياني صغيرا.

إلى من في الفؤاد مشاعر الإيمان إلى من محبتي لهم يفيض الوجدان، إلى الورقة المسطرة على قلبي
واحملها أينما سرت إخواني عيسى وأحمد، وأخواتي وأزواجهم أحلام، عبلت، نجا، أمينة، "حفظهم الله
ورعاهن، إلى من أحبهم فوق الظنون أعاصي، كل واحد باسمه، كما لا أنسى عسي الذي ولدته لي الأيام عسي
معتوق، وإلى خالتي وأخوالي.

إلى أستاذي الكريم الدكتور "موسى بن موسى، الذي كلما سألت عن المعرفة نودني بها، وكلما طلبت
من وقته ثمين وفره لي، بالرغم من مسؤولياته المتعددة، وإلى كل أساتذة قسم التاريخ. إلى من معهن أسعد
إلى من تحلوا بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء صديقاتي": سماح، سعاد، مريم، حدود، أحلام، دلال، مبركة، نورة،
شاهيناز، نعيمة، سعيدة، خيرة، وإلى من شاركتني عسلي هذا أسمهان". وإلى من وسعتم ذكرتي ولم تسعهم
منكرتي.

نصيرة

شكر و عرفان

الحمد لله رب العالمين :

﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (سورة النمل : الآية 20)

والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد (ﷺ) خاتم الأنبياء والمرسلين قائل الحديث الشريف : ﴿ من لم يشكر الناس لم يشكر الله ﴾ رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح.

نشكر الله العلي العظيم على توفيقه لنا لإتمام هذا العمل، كما نتوجه بخالص الشكر والعرفان والامتنان إلى الأستاذ الفاضل الدكتور " موسى بن موسى " الذي تابع عملنا هذا، ولم يبخل علينا

بنصائحه وتوجيهاته القيمة والمفيدة. فجزاه الله عنا خير الجزاء.

وإلى من قدموا لنا يد العون، والتوجيهات والتجارب. إلى كل من مدّ لنا يد المساعدة من قريب أو بعيد، وكان سنداً لنا في هذا المشوار الدراسي، كما لا يفوتنا تقديم الشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة لما سيقدموه لنا من توجيهات وتصحيحات وإضافات. لهم ألف تحية وشكر. والله الموفق.

بأسْمِهَانِ بِنَصِيرَةٍ

قائمة المختصرات

تحقيق	تح
ترجمة	تر
تعريب	تع
تقديم	تق
جزء	ج
دون بلد نشر	د ب ن
دون تاريخ نشر	د ت ن
طبعة خاصة	د خ
دون طبعة	د ط
صفحة	ص
صفحات المتلاحقة	ص ص
طبعة	ط
ميلادي	م
مجلد	مج
هجري	هـ

مقدمة :

تعرضت كل من الجزائر وتونس في القرن التاسع عشر لهجمة استعمارية من طرف فرنسا أدعت من خلالها هذه الأخيرة أنها تحمل لهذين البلدين رسالة حضارية لإخراجهما من ذلك التخلف الذي تعاني منه، حيث عملت فرنسا على فرض وتكريس هيمنتها على البلدين موظفة شتى الوسائل ومستعملة كل الأساليب، وفي مقدمتها محو الهوية الشخصية واللغة العربية والدين الإسلامي، ولكن مع بداية القرن العشرين شهد البلدين ضمن هذه الفترة الاستعمارية حركة الوطنية ذات اتجاهين، أحدهما سياسي وآخر إصلاحي وتؤكد هذا الأخير وبصورة واضحة بعد زيارة الشيخ "محمد عبده"، التي رسخت أفكاره ومنهجه في كالا البلدين، التي تأثر بمبادئها كثير من العلماء والمشايخ، كما لعبت الحركة الإصلاحية دورا مهما في بعث الروح الوطنية والحفاظ على عناصر الهوية الشخصية، وأوجدت جيلا من النخبة المثقفة طلائعي التفكير، ولقد ساهمت هذه الشخصيات الكثيرة والبارزة في نشر أفكار هذه الحركة.

ومن هذا المنطلق يبرز العنوان الذي نحن بصدد دراسته:

زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر وتونس وانعكاساتها ؛

أسباب ودوافع اختيار الموضوع:

إن دوافع كل باحث في اختياره الموضوع تكمن في الوصول إلى الحقيقة التاريخية. أما فيما يخص الأسباب التي ساعدت في تناول هذا الموضوع فهي كالتالي :

- المساهمة في التعريف بالجهود التي قام بها الشيخ محمد عبده.

- الوقوف على التحديات التي واجهها رجال الإصلاح.

- على حدود اطلاعنا لم يتم دراسة الموضوع سابقاً

أهداف الدراسة:

- إن الدراسة التي نود الوقوف عليها جاءت نتيجة أهداف يمكن حصرها في :
- معرفة مدى تأثير زيارة الشيخ محمد عبده على الجزائر وتونس.
 - إظهار طبيعة زيارة الشيخ محمد عبده التي كانت إصلاحية بامتياز.
 - الوقوف على تحرير العقول من السبات الذي كرسه سياسة التجهيل الاستعمارية.
 - الإشادة بالنضال الذي قدمه الشيخ.
 - الخوض في معرفة تفاصيل الزيارة في الجزائر وتونس وانعكاساتها.

الإشكالية:

تتمحور إشكالية هذا البحث حول :

كيف كانت زيارة الشيخ محمد عبده 1903م للجزائر وتونس؟ وما هي التأثيرات التي

تركتها؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الجزئية وتتمثل في :

- ما هي الأوضاع الثقافية التي كانت سائدة قبيل زيارة الشيخ عبده لكل من الجزائر وتونس؟

- كيف كان اللقاء الشيخ محمد عبده؟ ومن تفاعل معه؟

- وما هي انعكاسات هذه الزيارة على البلدين؟

حدود الدراسة:

أما عن حدود البحث التي تناولناها فهي محصورة في سنة 1903م وهي سنة زيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر وتونس.

منهج البحث:

بما أننا بصدد إعداد دراسة تاريخية لهذا اعتمدنا على المنهج التاريخي، ومعتدين كذلك على المنهج الوصفي، ذلك من خلال وصف زيارة الشيخ محمد عبده إلى كلا البلدين وانعكاساتها على البلدين.

خطة الدراسة:

إن البحث المزمع القيام به جعلنا نقسمه إلى ثلاثة فصول الأول تمهيدي تطرقنا فيه إلى التعريف بشخصية الشيخ محمد عبده والأوضاع العامة للجزائر وتونس قبل زيارة الشيخ محمد عبده 1903م.

أما الفصل الأول فتناولنا فيه زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر 1903م وتعرضنا خلاله إلى الوضع الثقافي قبيل وخلال هذه الزيارة، ثم مسار زيارة الشيخ محمد عبده وانعكاساتها على الجزائر.

أما فيما يخص الفصل الثاني والأخير تناولنا فيه زيارة الشيخ محمد عبده لتونس 1903م، حيث نستعرض فيه الوضع الثقافي قبيل وخلال هذه الزيارة ومسارها وانعكاساتها على تونس.

أهم مصادر ومراجع هذه الدراسة:

استعنا في دراستنا هذه على مجموعة من المصادر والمراجع ونبدأها بالمصادر، التي من أهمها :

- كتاب تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده 1849 - 1905م لصاحبه الأستاذ رشيد رضا فقد تناول كتابه الذي يشمل ثلاثة أجزاء، حيث تناول فيهم عن حياة ونشأة الشيخ محمد عبده، وتفاصيل حياته وأسفاره ورحلاته، ومن بين هته الرحلات زيارته للجزائر وتونس واهم الإحداث التي صارت فيها.

واعتمدنا كذلك على كتاب الشيخ محمد عبده الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، الذي حققه الأستاذ محمد عمارة الذي يشتمل على خمسة أجزاء، حيث تناول وتحدث هذا الكتاب عن الشيخ محمد عبده وعن منهجه الإصلاحي التجديدي، كما تناول فيه أيضا بعض أسفاره، التي نجد من بينها زيارته للجزائر وتونس، كما اعتمدنا كذلك على مجموعة مصادر أخرى ومن بينها :

- مذكرات الشيخ محمد عبده لصاحبها محمد عبده.

- كتاب تونس الشهيدة لمؤلفه عبد العزيز الثعالبي.

أما عن أهم المراجع التي استعنا بها في بحثنا ودراستنا هذه فنجد من بينها :

- كتاب تاريخ الجزائر الثقافي لصاحبه أبو القاسم سعد الله، الذي يشتمل على عشرة أجزاء، حيث اعتمدنا كثيرا على جزءه الثالث، الذي تحدث عن تفاصيل هذه الزيارة في الجزائر.

- كتاب الحركة الوطنية في جزءه الثاني 1900 - 1930م لصاحبه أبو القاسم سعد الله.

- كتاب محمد الفاضل بن عاشور حياته وآثاره لصاحبه المختار احمد بن عمار.

- كتاب قراءات في الفكر العربي الحديث والمعاصر لصاحبه محمد الصالح المراكشي.

كما اعتمدنا كذلك على مجموعة من المجلات، التي من أهمها وتعتبر مصدر في بحثنا هذا مجلة المنار لأستاذ رشيد رضا، والعديد من المجلات الأخرى كما اعتمدنا كذلك على مجموعة من الأطروحات والرسائل الجامعية والمراجع باللغة الفرنسية.

الصعوبات البحث:

إن انجاز أي بحث قد تتخلله صعوبات ولعل الصعوبة، التي واجهتنا هي صعوبة إيجاد المصادر التي تخص زيارة الشيخ محمد عبده لتونس مقارنة بالجزائر، وصعوبة المقارنة بين البلدين، خاصة من ناحية الثقافية، حيث نجد أن تونس سابقة للجزائر، ذلك من خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر قبل تونس بسنوات ونوع الاحتلال في حد ذاته. إلا أنه ورغم تلك الصعوبات حاولنا تقديم إضافة ولو شيء بسيط حول زيارة محمد عبده للبلدين والصعوبات التي تخللتها والآثار التي خلفتها، كما لا نتحجج بهذه الصعوبات، وذكرها إنما لتداركها من قبل الباحثين الآخرين.

وأمام هذا العمل المتواضع فإننا نتوجه إلى الله راجيين منه التوفيق والسداد.

الفصل التمهيدي:

أولا - التعريف بشخصية الشيخ محمد عبده ودوره الإصلاحية.

ثانيا - أوضاع العامة للجزائر وتونس قبل زيارة الشيخ محمد عبده.

أولاً - التعريف بشخصية الشيخ محمد عبده ودوره الإصلاحي :

محمد عبده أحد الشخصيات الذين حفر التاريخ أسماءهم من المصلحين الذين صنعوا مشروعا فكريا حضاريا مصبوغا بصبغة إسلامية، مستندا إلى الحضارة الإسلامية العربية، كما يبدو أن شخصية محمد عبده قد ذاع صيتها بين المؤرخين.

1 - المولد والنشأة:

ولد محمد عبده¹ حسن خير الله في قرية محلة نصر² بمركز "شبراخيت" سنة 1266هـ الموافق 1848م³، ويذكر الشيخ في مذكراته عن أهله بداية بوالديه هو عبده حسن خير الله من أصل تركماني. أما والدته مصرية تنتمي إلى قبيلة ابن عدي العربية، لديه اثنين من إخوته علي ومحروس⁴، في أسرة تعتر بكثرة رجالها ومقاومتهم لظلم الحكام وتحملهم في سبيل ذلك العديد من التضحيات، كالهجرة والسجن وغيرها من المحن، ومن عائلة متأصلة الجذور واجهت تعنت الجباة القساة، مما اضطرها بالعيش في حالة من البؤس، وعلى كل حال فقد ورث الشيخ محمد عبده صفات نشأ عليها وساعدته بيئته على نموها منها الذكاء والثقة بالنفس، ويتبع ذلك حب التفوق والعطف وعاش الطفل محمد عبده في بيت من بيوت القرية المتوسطة لا يحسب من أفقرها ولا من أغناها، كما نشأ في منزل متعدد الزوجات والأولاد من مختلف الأمهات، فاستطاع منذ حداثة سنه أن يقف على ما في نظام الأسرة المصرية من عيوب سيوجه همته إلى إصلاحها⁵.

¹ أنظر الملحق رقم (01).

² محلة نصر : إحدى القرى الصغيرة في إقليم الريف، من قرى مركز شبراخيت بإقليم البحيرة، مارست العيش في ظل نظام الإقطاع وسميت بهذا الاسم لأنها كانت إقطاعا لرجل سمية باسمه ولم يبق من تاريخه غير هذه النسبة. - وللمزيد ينظر: عباس محمود العقاد : المجموعة الكاملة التراجم والسير (محمد عبده - عبد الرحمان الكواكبي - رجال عرفتهم)، مج 17، ط 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980، ص 58-60.

³ عثمان أمين : رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده ، د. ط، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، 1996، ص 25.

⁴ محمد عبده : مذكرات الإمام محمد عبده، تق وتغ : طاهر الطناحي، د ط، دار الهلال، د. ب. ن، د. س. ن، ص 21-23.

⁵ محمد فوزي عبد المقصود: الفكر التربوي عند الإمام محمد عبده آلياته في تطوير التعليم، "كتاب الكتروني"، ص 15، 16.

أما نشأته العلمية قامت على تعلم محمد عبده الكتابة والقراءة في منزل والده، ثم وكل إلى حافظ معتقد في تعليمه القرآن ثم أرسل إلى طلب العلم ولم يقتنع بكتاب قريته منذ صباه فتوجه نحو معهد طنطا، ولم يركن إليه طويلا، وبعد مفارقتها لها ذهب إلى جامع الأزهر، وهناك بدأ في تكوين شخصيته واستقلاليته في سن مبكرة، فلم يقنع بالعلوم الدينية واللغوية بل أضاف إليها العلوم الطبيعية¹، حيث تعلم عند الشيخ درويش، الذي سبقته أسفاره إلى صحراء ليبيا وأخذ عن المدني والد الشيخ ظافر، الذي اشتغل في فلاحه الأرض وكسب الرزق من الزراعة².

2 - دور الشيخ محمد عبده الإصلاح:

بدأ الشيخ محمد عبده يسجل اسمه في الحياة العامة ككاتب في الشؤون الاجتماعية والإصلاحية والسياسية منذ سنة 1876م بجريدة " الأهرام "، التي أسسها حديثا في القاهرة من قبل أخوين لبنانيين، وفي سنة 1877 أنهى دراسته بالحصول على شهادة العالمية من جامعة الأزهر، ثم عمل في التدريس كمهنة دوما اقرب المهن إليه وكان غرضه من التدريس بث أفكاره الإصلاحية في السياسة والمجتمع والتعليم، وبعدما أصبح رئيسا للجريدة الرسمية " الوقائع المصرية"، حيث لعب دورا هاما في توجيه الرأي العام بالجملة من المقالات في الإصلاح الاجتماعي، بالرغم من هذا فقد كان يدرس في الأزهر وكان يلقي دروسا خاصة في داره على الطلبة، إلا أن كل هذا لم يكن الغاية التي يطمح إليها، وكانت الدروس التي شرع في إلقاءها على الطلاب في البداية تتعلق بإصلاح الأزهر لان محمد عبده المصلح كانت دعوته في أساسها وغايتها التجديد ومتابعة متطلبات العصر ومقتضياته، وتجديد المناهج والخروج على الطرق التقليدية التي ألفها الطلاب والمعلمون، ذلك بإدخال العلوم والموضوعات التي تقتضيها روح العصر، وتساهم في تحرير العقول من الأوهام، كما كان سفره ومقابلة العديد من المفكرين الأوروبيين لإنعاش وإنقاذ العالم الإسلامي. ولقد كانت لتلك

¹ عاطف العرقى: الشيخ محمد عبده 1849-1905 بحوث ودراسات عن أفكاره، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1995، ص 17.

² عباس محمود العقاد: عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده، دار هنداوي، القاهرة، 2012، ص 59، 60.

الرحالات التي استتبط منها محمد عبده منهجه الإصلاح، وهذا من ناحية. أما من ناحية أخرى فإن محمد عبده انطلق كأستاذ الشيخ جمال الدين الأفغاني¹ من قضايا الانحطاط الداخلي والحاجة إلى البعث الذاتي².

أما الأعمال الإصلاحية عند الشيخ عبده صارت بالاتجاهين : اتجاه يحافظ على التراث العربي الإسلامي، واتجاه يسير نحو الاستفادة من ثمار الحضارة العربية³. ولقد برزت ملامح موقفه المستقل وتميزت شخصيته الفكرية ومواقفه العلمية عن شخصية جمال الدين الأفغاني في عدد من القسمات في مقدمتها الموقف من الوسيلة التي يجب اتخاذها لبلوغ الغاية التي طرحها الأفغاني، التي تتلخص في الدعوة إلى اثنان وهما: التحرر الفكري من الجمود والتقليد والرجعية الدينية بسلوك طريق العقل والتجديد الدين، وإحداث ثورة فكرية تغربل بها موروثاتنا عن الأولين. والتحرر السياسي من خلال نفوذ الاستعمار الغربي الزاحف على المنطقة، والتصدي له بالنهضة الحضارية لمغالبتها.

إما الإصلاح عند الشيخ محمد عبده فيقوم على التدرج في الإصلاح، باعتباره الطريق الأقوم والأضمن في تحقيق غاية الإصلاح، وأن التربية المستندة إلى الدين بعد تجديده⁴. ومن هنا فإن محمد عبده قد عمل على إصلاح الدين، وأهم الوسائل التي اتخذها في إصلاح العقيدة، تفسير القرآن الذي انشغل به لاسيما في أواخر حياته⁵، حيث يرى أن إصلاح

¹ جمال الدين الأفغاني: (1254-1315هـ/1838-1897م) فيلسوف الإسلام في زمانه ولد في اسعد أباد في أفغانستان من أسرة عريقة يتصل نسبها بالحسينيين بن علي ويقال انه فارسي الأصل، أفغاني النشأة كان كثير السفر حيث أقام في باريس وأنشأ مع تلميذه محمد عبده "العروة الوثقى" لا يعرف للأفغاني مؤلفات مكتوبة لكن المعروف من تصانيفها "إبطال مذهب الدهرين وبيان مفاسدهم". - ينظر: قدرى قلجبي : ثلاثة من أعلام الحرية - جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، سعد زغلول، دار الكتاب العربي، بيروت، د.س، ص 29 وما بعدها.

² عبد الكريم بوصفصاف : الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا، ج 1، ط 1، دار مداد، الجزائر، 2009، ص ص 321 - 323.

³ نفسه، ص 323.

⁴ محمد عبده: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تح: تق: محمد عمارة، ج 1، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص 41.

⁵ احمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي ، بيروت، د.س. ن، ص 285

المسلمين عن طريق دينهم أيسر فيقول في هذا السياق: « أن الغرض الذي يرمي إليه جميعهم إنما هو تصحيح الاعتقاد وإزالة ما طرأ عليه من الخطأ في فهم نصوص الدين »، حيث كانت من بين الأمور التي قام بها محمد عبده في إصلاح اللغة العربية وأساليبها في التحرير، سواء كانت في المخاطبات الرسمية أو غيرها، كما عمل على إصلاح التربية والتعليم، فيقول في هذا الصدد: « فمن يريد خير البلاد فلا يسعى إلا في إتقان التربية وبعد ذلك يأتي له جميع ما يطلبه »، وكانت مواقف محمد عبده في الدفاع عن حقيقة الإسلام الخالص، مواقف مشهودة فعندما زعم " جابريل هانوت " أن حالة التأخر التي يعاني منها المسلمون تصل في نهاية التحليل إلى العقيدة الإسلامية نفسها، ذلك أنه في الوقت الذي أنتجت فيه المسيحية المدنية الحديثة برمتها لم ينتج الإسلام إلا تقهقرا وانحطاطا و في رأيه أن العقيدتين الأساسيتين اللتين يمكن أن يعزى إليهما هذا لانحطاطهما على وجه التحديد عقيدة التوحيد الخالص وعقيدة القدر¹.

وقد اختلف على أستاذه الشيخ جمال الدين الأفغاني حيث كان تركيز الإمام على الإصلاح التربوي معترفا بذلك عندما قال "ولدت كي أكون معلما" وربما أن خيبة الأمل التي أصابت محمد عبده عقب فشل الثورة العربية هي التي جعلته يعيد حساباته ويجعل الإصلاح التربوي ركيزة عمله ، كما كان له رأي آخر حول الإصلاح الداخلي فقد كان يرى إن إصلاح حال المسلمين وإصلاح مجتمعاتهم يكون بالإصلاح الأنفس أولا²، وقد استقى فكرته من قوله تعالى {أَنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} ³، فكان منهجه هو التدرج في الإصلاح وهو الطريق الأضمن لتحقيق الغاية، فقد حس الشيخ في أيامه الأخيرة بالمرض لكن هذا لم يمنعه من مواصلة نشاطه وعمله الإصلاحية وتصحيح النظرة الحقيقية للإسلام، لكن حين اشتد عليه المرض ولم يدري ما هو إلا غاية أن تبين أنه سرطان وبعد ذلك ما لبث

¹ عبد الكريم بوصفصاف: جمعية علماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945، رسالة تقديم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة قسنطينة، 1983، ص47.

² أبو بكر الصديق حميدي: دراسات وأعلام في الحركة الإصلاحية الجزائرية ، ط خ، دار المتعلم لنشر و التوزيع، الجزائر، 2015، ص20.

³ سورة الرعد: الآية 11.

أن توفي في الإسكندرية يوم 08 جمادى الأولى 1323هـ/11 جوان 1905م، عن عمر يناهز الستة والخمسين سنة¹.

ثانيا - الأوضاع العامة للجزائر وتونس قبل زيارة الشيخ محمد عبده:

1 - الأوضاع العامة للجزائر قبل زيارة الشيخ محمد عبده :

إن سياسة الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ 1830 ذات آثار واضحة تجلت في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية الثقافية زيادة على ذلك الأوضاع الدينية، هذا ما سنوضحه من خلال تسليط الضوء على هذه الأوضاع التي كانت تعيشها الجزائر، خاصة الدينية والثقافية قبل زيارة الشيخ عبده للجزائر، نهاية القرن 19م، وبداية القرن 20م.

أ - الأوضاع السياسية والاقتصادية:

خضعت الجزائر للاحتلال الفرنسي عام 1830م، لكنها قابلت هذا الاحتلال بمقاومة شرسة حيث كانت هناك مقاومة (مقاومة شعبية مسلحة، ومقاومة رسمية مسلحة) حيث عملت فرنسا من خلال دخولها إلى الجزائر على محو معالم الهوية الوطنية وجعلها فرنسية مما أدى بها إنهاء سلطة الداي وتمكنت من تدمير الجزائر وفرض سيطرتها عليها² وليحقق الاستعمار الفرنسي أهدافه أتبع أساليب واتخذ عدة وسائل ليمضي من خلالها لتنفيذ المخطط الاستعماري الذي يقوم على إبادة الشعب الجزائري المسلم وتصفية وجوده المادي والمعنوي، ومن أهم السياسات التي اتبعتها فرنسا ما يلي :

أ - سياسة الدمج والفرنسة:

عملت السلطات الفرنسية منذ البداية على طمس الهوية الإسلامية والجذور العربية في الجزائر حيث عمدت على سن القوانين التي استهدف منها هذه الغاية منها قانون الإدماج 22 جويلية 1834م، الذي ينص على أن الجزائر هي الجزء الجنوبي من فرنسا، ومن بين

¹ موسى صاري: رواد الإصلاح في الوطن العربي (محمد عبده 1849 - 1905)، منشورات سيدي نايل، الجزائر، ص16.

² عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص198.

القرارات أيضا نجد قرار ينشئ منصب حاكم عام مدني وآخر يلحق الجزائر مباشرة بفرنسا بواسطة دمج شؤونها في مختلف الوزارات بالحكومة الفرنسية في باريس¹، وبعد سياسة الإدماج التي جاءت بها فرنسا والتي كانت تعني بها في ظاهرها تحقيق التماثل والمساواة بين الجزائريين والفرنسيين باعتبار الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا. وقانون الأهالي الصادر في 26 جانفي 1881م، وهو عبارة عن مجموعة من النصوص التي فرضت على الشعب الجزائري منذ عام 1874م، وبعد القضاء على مقاومة المقراني، ويعتبر قانون الأهالي كمحاولة من الاستعمار لقتل روح المقاومة في الشعب الجزائري وإخضاعه عن طريق تمكين القانون الفرنسي من تسليط العقوبات²، بالإضافة إلى السياسات التعسفية السابقة التي فرضها الاستعمار في حق الشعب الجزائري، أضاف إليها سياسة أخرى تدل على ظلمه وقهره للجزائريين ألا وهي سياسة التجنيد الإجباري التي فرضها على الشباب الجزائري وهو التحاق الشباب الجزائري بصفوف الجيش الفرنسي لكن الشعب الجزائري رفضها وعارضها بشدة لأنه رأى فيها مساس بشخصياتهم الإسلامية، واكتست هذه المعارضة أشكالا مختلفة كالهجرة إلى بعض بلدان المشرق وتنظيم المظاهرات وإرسال الوفود إلى فرنسا والهجوم على فرق العسكرية المكلفة بالتجنيد رغم أن النخبة المثقفة قد قبلت مبدأ التجنيد إلا أنها بالمقابل اشترطت أن تمنح الجزائريين الحقوق السياسية والمدنية سواسية مع المعمرين³

ب - الوضع الاقتصادي :

إن الوضع الاقتصادي لا يقل عن ما سبق حيث نجد فرنسا ومنذ بداية احتلالها للجزائر قامت باستغلال خيرات وثروات البلد ولذلك ساءت الأوضاع مجرد ارتباطها بالهجرة والاستيطان التي قلنا سابقا بأنهما زادا مع بداية الحكم المدني، بواسطة مجموعة من القوانين

¹ أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1992، ص20.

² زوليفة بوقرة: سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر جمعية علماء المسلمين الجزائريين نموذجا ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، الحاج لخضر ، باتنة ، 2008، ص 82-84.

³ عمار عمورة: موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ربحانة، الجزائر 2002، ص162.

منها قانون سيناتوس كونسيلت 22 أفريل 1863م، الذي يتعلق بالملكية العقارية ويقضي بتمليك الجزائريين للأراضي سواء أكانت ملكهم أو مشاعة بين الأعراش التي كانت تابعة لسلطة البايك (ابتداء من عام 1873م)، كما شرع الأوروبيون المستوطنون في تطبيق "قانون الاستيطان" ويتمثل في الاستيلاء على الأرض، قانون الغالب على المغلوب وهو من اجل إضعاف المجتمع الجزائري وإحكام السيطرة عليهم أما قانون 26 جويلية 1873م، هو الذي حطم نظام الملكية في الجزائر وأباح للمستوطنين الأوروبيين أن يتصرفوا في أراضي الجزائريين كما يحلو لهم¹.

ج - الأوضاع الدينية :

يمثل الدين الإسلامي مركز قوة في المجتمع الجزائري فو الحصن المتين الذي وقف به وأعانه على الصمود أمام الحملات الاستعمارية ومن اجل ذلك فقد جعل الاستعمار الفرنسي الطريق إلى هدفه هو القضاء على الدين الإسلامي وتدميره بمجموعة من الخطط المختلفة للقضاء على كل ما يربط الجزائريين به ولتحقيق ذلك لها اتبعت عدة أساليب منها:

* غلق وتحويل المساجد :

بدأت عملية القضاء على المساجد سنة 1832م مع أمر روفيغوا الحاكم العام القاضي بحجز أحسن مسجد ويحول إلى كنيسة فقال: "يلزمني أجمل مسجد في المدينة لنجعل منه معبد اله المسيحيين" وقال أيضا: "عجلوا بذلك فجامع كتشاة هو أجمل مسجد في المدينة خاصة وانه يتاخم القصر..."، ومن هذا الأمر توالى عمليات التدمير وكذا عمليات التحويل بل التي عمت معظم المساجد في الجزائر، ففي عام 1862م لم يكن مخصصا للمسلمين لإقامة شرائعهم الدينية سوى أربع مساجد كبيرة وثمانية صغيرة، وكان يرافق تحويل المساجد إلى كنائس في اغلب الأحيان خطابات استفزازية عنيفة. ولقد اتبعت فرنسا سياسة التدمير

¹ عمار بوحوش: المرجع نفسه، 166، 167.

هذه رغم الوعود التي قطعتها في عدم المساس بمقدسات الأمة كما وعدت بعدم السماح للجيش الفرنسي بدخولها¹.

* مصادرة أملاك الأوقاف والاستيلاء عليها :

كانت الأوقاف في الجزائر تبلغ نحو 66% من أملاك العقارية والزراعية ويعود السبب في ذلك إلى شغل الجزائريين بحبس أموالهم على المساجد وأضرحة الأولياء، وبفضل هذه الأوقاف لم يكن أحد يشكو الفقر لان الجميع الفقراء كانوا يأخذون حصتهم من خيرتها حيث كانت الأوقاف الإسلامية تمثل بالنسبة للجزائريين مورد خير كبير ونفع عظيم على مجموع الأمة وعلمائها، حيث عملت فرنسا على استيلاء على هذه الموارد وأصدرت قرار يخص الأوقاف وهو القرار الذي أصدرته في 08 سبتمبر 1830 وهو القرار الذي بمقتضاه تم الاستيلاء على جميع أملاك الأوقاف الإسلامية ثم إصدار قرار الثاني في 07 أكتوبر 1830 وهو القرار الذي أعطت خلاله الحق لنفسها والشرعية في التصرف في أملاك الأوقاف فأصبحت الأوقاف الإسلامية على أثره تابعة لمصلحة أملاك الدولة التي استغلتها هي الأخرى لبداية مشروعها التتصيري²

* تنصير المجتمع الجزائري:

إن نوايا فرنسا لتتصير المسلمين الجزائريين كان واضحا منذ دخولها إلى الجزائر، وإزالة الإسلام من الجزائر وكان ذلك واضحا عندما اصطحبت معها مبشرين في حملتها على الجزائر وكذا إزالة الوجود العربي منها ثم ضم الجزائر إلى فرنسا لذلك فإن كل قرار تصدره السلطات الفرنسية من أي نوع كانت تسعى من وراءه إلى تحقيق هدفين وهما: السيطرة المادية وتحقيق الملكية الفعلية. وتوفير الظروف التي تسهل بها عملية التنصير. ومن أجل تحقيق هاذين الهدفين قامت بتدمير المساجد وتحويلها إلى كنائس والاستيلاء على الأراضي

¹ احمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 2001 ، ص 147، 148.

² عمار عمورة: المرجع السابق، ص 124

وتوزيعها على المستوطنين والاستيلاء على أوقاف المسلمين كما عملت فرنسا على محاصرة الإسلام والقضاء عليه كما نجد أيضا التأثير السلبي لطرق الصوفية¹

د- الأوضاع الاجتماعية والثقافية:

منذ خضوع الجزائر للاحتلال الفرنسي تغيرت البنية الاجتماعية فأصبح يعيش بها المستعمرون بالإضافة إلى الجزائريين الذين يمثلون الأغلبية ومن خلال تلك الأساليب والطرق التي تتمثل في السياسة القمعية التي أنتجتها فرنسا من أجل الاستحواذ على الممتلكات والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية التي خلفتها الدولة الجزائرية من طرف العثمانيين حيث قام المستعمر بإذلال الشعب الجزائري من خلال نزع ملكية الأراضي وإعطائها للمعمرين وزيادة على سوء الوضعية الاجتماعية أصبح الجزائريون يعيشون حالة من التدهور في المداخل ما أدى إلى انهيار مستويات المعيشية وبالتالي حرموا من أدنى سبل العيش وقد تم إخضاع الشعب الجزائري للأقلية الأوروبية من خلال تحويل معظم السكان إلى مزارعين لدى المعمرين بعدما كانوا أصحاب أملاك وأكثر من ذلك أنها قامت بتدمير أركان المجتمع الجزائري فعملت على تقسيمه إلى أعراش وقامت بتعطيم نظام القبيلة وألغت المحاكم الشرعية الإسلامية وعزلت المجتمع الجزائري عن العالم وخاصة محيطه العربي الإسلامي حيث عانى هذا الأخير من النفي والتهجير وتشويه الذاكرة الاجتماعية وتغييب التاريخ الوطني من خلال تشويه الألقاب والأسماء².

أما بالنسبة للوضعية الثقافية فهي لا تختلف عن الوضع الديني والاجتماعي فقد كانت في أسوأ أحوالها لذا ركزت فرنسا عليها وذلك من خلال جملة من الإجراءات المتخذة من السلطات الاستعمارية لمحو الشخصية الجزائرية وتجهيل شعبها ونشر الأمية فيه، حتى يمكنها أن تحكم سيطرتها الكاملة عليهم ولم تسمح لهم بالتعلم إلا في حدود ضيقة للغاية فقد قضى الاستعمار على المعاهد الإسلامية والمكتبات التي كانت موجودة من العهد العثماني

¹ زوليخة بوقرة : المرجع السابق ، ص 92.

² قمير قوادرية : الجمعيات والنوادي الثقافية ودورها في الحركة الوطنية 1900-1939، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014-2015، ص 24-25.

وحولها إلى مدارس فرنسية كما حولت الزوايا التي سلمت من التخريب إلى أوكار تدين بالولاء مع الاقتصار فيها على حفظ القرآن وفي هذا الصدد يقول احد المستشرقين : " إن المساجد والزوايا مقتصرة على تعليم القرآن الذي يحفظه التلميذ عن ظهر قلب، أما المدارس التي يستطيع التلميذ أن يتعلم فيها مواد أخرى فعددها محصور جدا ويبدو أن عددها يتناقص باستمرار"¹ وجراء ذلك فقط بلغت الأمية نسبة 99% بين النساء، كما بلغت نسبة 95% بين الرجال، فقد بلغ سنة 1850م عدد التلاميذ المتمدرسين في المدارس الابتدائية الفرنسية حوالي 642 تلميذ، ووصل عددهم سنة 1870 إلى 13000 تلميذ ثم تقلص العدد بعد ذلك بسبب غلق المدارس الإسلامية، أما التعليم الثانوي فلم يتجاوز عدد التلاميذ الجزائريين المسجلين فيه قبل عام 1914 سوى 150 طالبا بينما لم يتحصل خلال هذه السنة إلا 12 جزائريا على شهادة ليسانس في الجامعية، وبقيت مصلحة التعليم من اختصاص وزارة الحرب تحت إشراف الوالي العام إلى غاية 1948م وبقيت المعاهد الإسلامية تحت سلطة الوزارة الحربية . وسلكت فرنسا في تعليمها للجزائريين منهج الفرنسية وتشويه التاريخ حتى تتمكن أولا من إدراج اللغة الفرنسية محل اللغة العربية ،وثانيا القضاء على تراثها الإسلامي، ومع هذا فان فرنسا كانت تهدف من تعليمهم تكوين نخبة جزائرية صغيرة تكويننا فرنسا لحاجتها هي لذلك، وفي إطار فرنسة الجزائر لم تتج حتى مدنها وقراها فأصدروا عام 1882 قرار يقضي بتسمية الشوارع والساحات الجزائرية بأسماء حكام ومثقي وجنرالات فرنسا . مثل فيكتور هيقو وفولتير ... إلخ ولم يكفيها هذا بل قامت بإشعال نار الفتنة داخل المجتمع الجزائري بدعوى أنه يسكنها عنصرين من الأجناس عرب وبربر، وهذا ما فعلته في انتخابات المجالس في إطار سياسة فرق تسد² .

¹ يسلي مقران: الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920-1945، ط2، الأمل لنشر والتوزيع ، نيزي وزو- الجزائر-، 2012، ص58

² عمار عمورة : المرجع السابق ، ص 126، 127.

2 - الأوضاع العامة في تونس قبل زيارة الشيخ محمد عبده :

أ - الأوضاع السياسية والاقتصادية :

إن نتائج الحملة العسكرية الفرنسية للبلاد التونسية، وفرض حمايتها عليها، كان ذلك بتوقيع محمد الصادق باي معاهدة الحماية، التي عرضها عليه الجنرال بريار غداة حصاره لقصر السعيد ببوردو وذلك في 12 ماي 1881م ومن ذلك الحين ارتبط تاريخ تونس بالإحداث الواقعة في البلاد، وانحصرت المهمة في الإصلاحات التي تقترحها فرنسا على الباي وإعادة تنظيم الإدارة التونسية ويكفي الإشارة هنا إلى سقوط مصطفى بن إسماعيل من الوزارة الكبرى وتعويضه بمحمد خزندار، وقد أقام عليها نحو السنة إلى أن توفي محمد الصادق باي في 16 ذي الحجة 1299هـ/28 أكتوبر 1882م، واعتلاء أخيه علي باي العرش الحسيني¹، حيث انتهزت فرنسا حدوث بعض الحوادث على الحدود الجزائرية التونسية فاستندت عليها لتنفيذ مخططاتها فقد حدث أن عبرت قبيلة "بنو خمير" التونسية؛ الحدود الفاصلة بين تونس والجزائر واقترفت بعض أعمال السرقة البسيطة المعتادة بين الرعاة فادعت فرنسا إرسال حملة تأديب لهذه القبائل التي لا يملك الباي عليها أي سلطان وقام تيدور روسطان في 16 أفريل 1881م بإبلاغ الباي بأن جنود الفرنسيين سيعبرون الحدود التونسية لتأديب هذه القبائل، وطلب منه أن تتعاون حكومته مع الفرنسيين في العمل على إقرار الأمن والنظام، وقد حاول الباي أن يتدخل هو بنفسه لحسم الموقف، فأرسل أخاه على رأس قوة أعدها بسرعة ووجهها إلى بلاد حمير وفي 24 أفريل 1881م، اجتاز الجنود الفرنسيين تونس واحتلوا (الكاف وطبرقة) وبعد كل الأوامر التي فرضتها فرنسا على الباي والتي من بينها أن لا يعقد الباي أي اتفاقية أو معاهدة مع أي دولة أجنبية وهكذا فقد أصبح لفرنسا الإشراف الكامل على الديون وعلى ميزانية الدولة². ورغم استغاثة والي تونس ونداءاته المتكررة إلى الدول التي

¹ حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس، تق وتتح: حمادي الساحلي، دار الجنوب لنشر والتوزيع، تونس، 1994، ص 151، 152.

² شوقي عطا الله الجمل: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977، ص 307-309.

ضمها مؤتمر برلين إلا أن هذه النداءات المؤثرة لم تلق إى صدى لدى الدول المعنية باستثناء إيطاليا التي قامت بمساعيها لدى الدول الكبرى والدولة العثمانية التي أرسلت سفينتين حربيتين في محاولة فاشلة انتهى هدفها في مياه المتوسط¹، وفي غضون أيام القليلة تمكنت قوات الجنرال "بريار" ووصلت إلى تونس في 08 ماي 1881 من احتلال الأيالة وأجبرت الباى على توقيع معاهدة باردو "قصر السعيد" يوم 12 ماي 1881 واخذ الفرنسيون ومنذ وطأت أقدامهم ارض تونس في فرض حكمهم المباشر وتوطيد دعائمه هناك²، غير أن ما ينبغي ملاحظته هو تمكن فرنسا من إتمام احتلالها العسكري لتونس، وبعد ذلك فرضت على الباى اتفاقية المرسى في 08 جوان 1883 والتي استكملت بمقتضاها هيمنتها على البلاد التونسية، كل هذا أسفر عن فقدان تونس لاستقلالها الداخلي³، واستمرت الحالة السياسية على هذا النسق إلى أن ظهر عدد من الشبان خرجي المدرسة الصادقية⁴ وبرز فيهم البشير صفر⁵ كما حدث تجاوب بين هذه الحركة الناشئة والحركة المصرية بزعامة مصطفى كامل وتوحدت جهود الإصلاح بتأسيس جريدة الحاضرة في 1888 والجمعية الخلدونية سنة 1896 وجمعية قدماء الصادقية التي أسسها علي باشا⁶.

¹ خير الدين شترة: إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900-1939)، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 26.

² عبد المنعم الهاشمي: موسوعة تاريخ العرب - العصر الحديث -، ج 6، ط 1، دار الهلال، بيروت، د ت، ص 303.

³ حبيب حسن لولب: أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، منشورات سيدي نايل، الجزائر، 201، ص 61.

⁴ المدرسة الصادقية: أنشأها خير الدين باشا 1876 على عهد الصادق باشا باي، بأمر مؤرخ في 25 ذي الحجة 1292هـ، وقد كانت تدرس بها لغات عديدة وتباشر التعليم الابتدائي ثم العالي ومن خصائصها أنها تَعُولُ تلاميذها وتؤويهم ليلا بفضل ما أوقف عليها، للمزيد ينظر: خير الدين شترة: المرجع السابق، ص 27.

⁵ البشير صفر: ولد في 27 فيفري 1865 درس في المدرسة الصادقة، وأتم دراسته الثانوية في سان لوس ببباريس، وفي سنة 1882 أخذ يستعد للالتحاق ببباريس لإكمال الدراسة لكنه فجئ بإلغاء المنحة المسندة الى البعثة المدرسية المنتسب إليها، اشتغل في تسيير مكتب المحاسبة التابع للحكومة الفرنسية كما قام بتقديم دروسا في الفرنسية بالمدرسة الخلدونية وفي سنة 1908 عين واليا على سوسة، ولقد أصيب بالمرض العضال في شهر ابريل 1917 وأدركته المنية على اثر عملية جراحية وللزيد ينظر: الصادق الزرمالي: أعلام تونسيون، نق وتغ: حمادي ساحلي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص ص 121-131.

⁶ خير الدين شترة، نفسه، ص 27.

كان لموقع تونس الجغرافي وقربها من المركز الامبريالي أهمية إستراتيجية جعلتها محل أطماع لدول الأوربية زيادة على تدخلهم في شؤونها الداخلية منذ مؤتمر فيينا سنة 1815م، وتفاقم الوضع بعد احتلال الجزائر مما جعل فرنسا تريد احتلال تونس كذلك وذلك لتحقيق أطمعها فيها. أما عن الوضعية الاقتصادية لتونس فنجد ان فرنسا بذلت قصارى جهدها للحفاظ على تونس وهو ما قام به قنصلها تيدور روسطان وذلك من خلال حصوله على امتيازات تتمثل في الخطوط الحديدية الرابطة بين تونس وبنزرت، ومهما يكن في آخر الأمر تحصل على مد كل خطوط السكك الحديدية مع حضر ميناء تونس¹، ولنفس الغرض اهتمت الشركات الفرنسية بشراء الأراضي التونسية، ولتحقيق ذلك فتحت شركة مرسيليا للقروض في شهر مارس 1878م فرعا لها بتونس وفي هذا يرى روسطان بأن الاستعمار الاقتصادي مدخلا لسياسي والعسكري².

لقد كان من أهم المحاصيل الزراعية التونسية خلال القرن التاسع عشر نجد القمح، الشعير، الذرة البطاطا، التبغ و الكروم فضلا عن هذا نجد ان التربة التونسية غنية بالمعادن أهمها الفوسفات الذي يعتبر الثروة المعدنية الرئيسية كما نجد الحديد والرصاص والزنك. وتدل الإحصاءات الأخيرة على أن مساحة المراعي تبلغ 100 ألف هكتار، كما تبلغ البساتين نسبة 806 ألف هكتار³، كما ان فرنسا عملت على الاستيلاء على هذه الأراضي اتخذت كافة الوسائل والتشريعات لنزع الأراضي من أيدي ملاكها الحقيقيين وهم التونسيين ومنحها للمعمرين حيث أصبح الفرنسيون هم المتحكمون في الحياة الاقتصادية ثم تساند المستعمرين أصحاب رؤوس الأموال المسيطرين على الحياة التجارية والصناعية وهكذا تصبح بيدهم السيطرة على السياسة المالية للبلاد ليصبح الفرد التونسي مهدد بالفقر في كثرة ثرواته هذه ومن اجل نزع الأراضي من التونسيين أصدرت القانون العقاري بتاريخ 1885

¹ علي المحجوبي : النهضة الحديثة ، دار سيرا، تونس، 1999، ص 130.

² احمد قصاب : تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، تع: حمادي ساحلي، الشركة التونسية لتوزيع، تونس، 1986، ص 55.

³ أمين شاكر وآخرون : شمال إفريقيا بين الماضي والحاضر والمستقبل ، دار المعارف ، مصر ، د ت ن، ص 101.

حيث يقضي هذا القانون بتنظيم الأراضي وتسجيلها بعد أن ينظر في أمرها محكمة مختلطة بين تونسيين وفرنسيين والحكم الذي تصدره المحكمة هو النهائي ولا يمكن إعادة النظر فيه كما تم إصدار قانون 13 جانفي 1896 الذي يقضي بإلحاق الأراضي البور بأمالك الدولة فأخذت سلطة الحماية على عاتقها تحديد أراضي البور وراحت تدخل ما تشاء من الأراضي في هذا النوع معتدية بذلك على حرية الملك الفردية، وتوالت الاعتداءات على أصحاب الأراضي تحت هذا الستار، ولم تقتصر السلطة الفرنسية عند اغتصاب أملاك الدولة والغابات وأراضي القبائل¹ بل ذهبت إلى أبعد من ذلك وهو التطاول على الأوقاف المسلمين حيث صدر أمر بتاريخ 13 نوفمبر 1898 يفرض على إدارة الأوقاف أن تضع كل عام تحت تصرف الدولة الاستعمارية جزءا من أراضي الأوقاف العامة لا تقل مساحتها عن 100 ألف هكتار وذلك في نظير إيجار سنوي ضئيل ولكن المستوطنين بما لهم من نفوذ على الإدارة²

ب - الأوضاع الثقافية والاجتماعية لتونس :

إن فرنسا عند احتلالها لتونس كانت تريد السيطرة السياسية والعسكرية ورأت أن هذا الاحتلال لا يكتمل إلا بسيطرة ثقافية حيث عملت فرنسا على السيطرة على التعليم وأخضعته لنظم فرنسية حتى أصبح الطالب يتقن الفرنسية ويفقه أسرارها ويتذوق أدبها بينما نسي اللغة الأم ألا وهي العربية لكن برغم من السيطرة الاستعمارية على كل شيء لشعب التونسي لم يرضخ ولم يقبل المذلة والهوان بل قاوم الاحتلال الفرنسي لغاشم ولم ييخل رغم بدائية السلاح الذي كان في أيدي المجاهدين عن تقديم آلاف الشهداء³ ، إن فرنسا ومنذ احتلالها لتونس حاولت نشر الثقافة الغربية بدل العربية الإسلامية كما اتجهت في سياستها

¹ الحبيب ثامر : هذه تونس، مطبعة الرسالة، القاهرة ، د ت ن، ص 42، 43.

² صلاح العقاد : المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر ، تونس و المغرب الأقصى ، ط6، مكتبة أنجلو المصرية، مصر، 1993، ص199.

³ الطاهر عبد الله :الحركة الوطنية رؤية شعبية قومية جديدة (1881-1956)، منشورات دار المعارف، تونس، 1990، ص

التعليمية إلى محو الروح القومية وذلك بمحاربة اللغة العربية والاستعاضة عنها باللغة الفرنسية وتطبيق برامج خاصة لإخراج الناشئة عن قوميتها العربية وقطع الصلة بينها وبين ماضيها لتتمكن من إدماجها في العنصر الفرنسي¹. لكن بنود نظام الحماية ورسوخ المؤسسات تونس التعليمية مثل " جامع الزيتونة " حال دون الوصول إلى الدرجة الاقصائية للغة العربية كما حصل في الجزائر. فلجأت السلطات إلى سياسة أخرى حيث شهدت تونس قرارات ومراسيم لا تمس هويتها الثقافية فحسب بل تعدى ذلك إلى الهوية الوطنية لإفرادها عن طريق ما يسمى بسياسة (التجنيس) الفردي والجماعي بالقرارات الصادرة في 1887, 1897, 1889، التي تعطي تسهيلات لتونسي الذي يرغب في الحول على الجنسية الفرنسية²

أما عن الوضعية الاجتماعية لتونس فلم يكن هناك تناقص في عدد السكان كبير كما نجد أن الأرياف هي الأكثر تفهقرا حيث تعرضت شرائح عديدة من الفلاحين إلى ضروب الابتزاز والإقصاء ولاسيما في المناطق المجذبة وذات الطابع الرعوي بعد انتزاع أراضيهم ومسالك انتجاعهم وإحاقها بأملأك المعمرين وآل التضيق على القبائل المنتجة أما إلى الاكتفاء بموارد المناطق المجذبة أو إلى تحويل عدد من رجالها إلى أجراء عند المعمرين أو الانتقال والنزوح نحو المدن كما شمل التفهقر الاجتماعي الفئات الحضرية الوسطى أي جماعات الحرفيين و صغار التجار والمالكين الذين عجزوا على التأقلم مع الوضع الاقتصادي الجديد أو أفلسوا نتيجة لمنافسة هياكل الإنتاج والتوزيع الاستعمارية³.

¹ الحبيب ثامر: المرجع السابق ، ص 59.

² محمد علي داهش: دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، دار مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، د ت ن، 22.21

³ خليفة شاطر وآخرون: تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005، ص47.

الفصل الأول :

زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر 1903م

أولا - الوضع الثقافي قبيل وخلال زيارة الشيخ محمد عبده.

ثانيا - مسار زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر.

ثالثا - انعكاسات الزيارة على الجزائر.

أولا - الوضع الثقافي قبيل وخلال زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر:

إن حالة الجزائر من الناحية الثقافية تعتبر سيئة للغاية نظرا لضغوط المتزيدة والعنيفة التي تعرض لها الشعب الجزائري نهاية القرن 19م، من اجل تحطيم شخصيته القومية وتجريده من أهم ما يملك ماديا ومعنويا، فدخل الاحتلال في صراع حرب شنها على اللغة العربية وعلى ثقافة العربية الإسلامية والتي أصبحت تظهر غريبة في أرضها وفي أهلها، وانفردت اللغة الفرنسية والثقافة الغربية وسط البلاد حتى أصبح الجزائريين يخشون لهجة الحديث العامية أن تندثر من البلاد لما شابها من كلمات دخيلة من الفرنسية بسبب سيطرة اللغة الفرنسية على شؤون الإدارة والتعليم ووسائل الإعلام ومختلف المرافق الثقافية. ومع مطلع القرن 20م شكلت هذه الظروف وبمختلف رواسبها وأثارها الروح وطنية إصلاحية، محاولة بذلك التخلص من شوائب ومخلفات الاستعمار من جميع النواحي السياسية والاقتصادية بما فيها أيضا الثقافية، وحاولت تسخير هذه الظروف وكافة الوسائل لمواجهة وكان من أهمها الصحافة وإنشأ النوادي والجمعيات الثقافية ومختلف الوسائل التوعوية، فعلى الرغم من الحصار الذي فرضته فرنسا على الجزائر لعزلها على باقي الأقطار الإسلامية، خاصة تلك التي لمتبتل بما ابتليت به من محاولة طمس دينها ولغتها ، فإنه مع إطلالة القرن 20م بدأت الجزائر تعيش حركة فكرية شبه متواصلة مع الأقطار الإسلامية الأخرى، سواء عن طريق الطلبة الذين بعثوا لدراسة في جامع الزيتونة أو الأزهر والجامعات الإسلامية الأخرى أو عن طريق الدعوات الإصلاحية التي قامت بالبلاد الإسلامية مثل دعوة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده. وهناك عوامل أخرى ساعدت على قيام الحركة الفكرية كتلك البوادر الإصلاحية الفردية التي ظهرت بالجزائر بعض العلماء المتفاعلين مع الحركة الإصلاح الإسلامي، ومما ساعد على قيام هذه النهضة أيضا، تولي "شارل جوناو" الوالي العام للجزائر¹ وخبير في الشؤون الجزائرية الذي طالب بمعاملة الجزائر كمستعمرة خاصة وكان من الداعين للمحافظة على

¹ مصطفى محمد حميداتو: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1997،

التقاليد وأعراف الجزائريين، كما عرفت الجزائر في ظل سياسته تغيرات سمحت لنهضة الجزائرية أن تبرز بمظاهر عدة حيث انتهج سياسة التقرب من الجزائريين عن طريق تشجيعه للخدمات الاجتماعية والدراسات العربية¹

1 - عودة الطلبة والعلماء من مهجرهم:

لقد ساهم هؤلاء المثقفون بعد عودتهم من المهجر وبعد الدراسة في الخارج بجهود عظيمة في النهوض بالحياة الفكرية والدينية، بما أثاروا من همم وأحيوا من حمية وبنو من المدارس في مختلف أنحاء الوطن ونقوا الأفكار من رواسب البدع والخرافات التي علقت بها ومن بينهم الشيخ عبد القادر المجاوي² والشيخ عبد الحليم بن سماية³، حيث كانت تعتقد فرنسا أنها قضت على الشخصية الجزائرية نهائيا بقضائها على الإسلام والعروبة فيها مما قاله احد الحكام الفرنسيين في هذه المناسبة "إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرأون القرآن ويتكلمون العربية، فيجب إن نزيل القرآن من وجودهم وأن نقتلع العربية من ألسنتهم"⁴.

¹ سامية مقدم، هادية حماد: النوادي الثقافية بالجزائر في النصف الأول من القرن 20م (1901-1947م)، مذكرة شهادة ماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة حمة لخضر، الوادي، 2016-2017، ص 41.

² عبد القادر المجاوي : وهو عبد القادر ابن أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم ابن عبد الرحمان المجاوي ولد في تلمسان سنة 1848، تنقل من اجل تلقي العلم بين العديد من المدن المغربية وختم رحلته العلمية بجامعة القيروان ، وفي سنة 1869 استقر في قسنطينة ودرس فيها، وفي سنة 1877 تولى تدريس العلوم الشرعية في المدرسة الكتانية ، ومن ابرز مؤلفاته كتاب إرشاد المتعلمين ، توفي سنة 1914: ينظر :جيلالي صاري :بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850-1950)، تر: عمر المعراجي، منشورات ANEP، المؤسسة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 45-65

³ الشيخ عبد الحليم بن سماية :ولد سنة 1866 في قلب مدينة عبد العزيز الثعالبي بالجزائر العاصمة، حفظ القرآن الكريم ومختلف المتون، تولى التدريس في المدارس الحكومية درس في المدرسة الثعالبية، عمل صحفيا في العديد من الصحف التونسية له عدة كتب في التصوف والفلسفة لكن كلها مفقودة، توفي سنة 1933، للمزيد عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، تص: عمار طالبي، ج1، ط1، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968، ص 28.

⁴ محمد بشير الإبراهيمي :آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1929-1940)، تق: أحمد طالب الإبراهيمي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 07.

2 - البذور الأولى للصحافة الجزائرية :

إن الصحافة هي الوسيلة الوحيدة للجزائريين للتعرف على أخبار المشرق العربي، الذي حاولت فرنسا فصل الجزائر عن محيطها العربي الإسلامي، فكانت الوسيلة الوحيدة هي الجرائد والمجلات العربية، التي كانت تتسرب إلى الجزائر من مصر وغيرها من البلدان العربية الأخرى كتونس والمغرب، وأوربا بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ومن بين الجرائد والمجلات التي كانت تصل من المشرق نجد : العروة الوثقى والمنار، والمؤيد واللواء، التي ساهمت في بعث اليقظة والنهضة الفكرية الثقافية، التي من ثمارها نشأة وتطور الصحافة العربية الجزائرية، التي اتخذت كأداة لإيقاظ الأمة الجزائرية وربطها بمحيطها الإسلامي¹، حيث تشكلت المرحلة الأولى (1900 - 1914م) بداية الظهور الفعلي للصحافة الجزائرية بعد تلك التي ظهرت مع بداية الاحتلال، والتي مثلت الصحافة الكولونيالية، رغم لغتها العربية العامية، وهذه الفترة تعتبر البداية الأولى لصحافة الجزائرية بالجزائر أنشأها واشرف على تحريرها نخبة من المثقفين الذين أنتجتهم المدرسة الفرنسية المختلطة بداية من 1850م، وبعض المثقفين الذين كونتهم ظروف ما بعد 1881م، وهو تاريخ وصول لجنة البرلمانية الفرنسية إلى الجزائر برئاسة جول فيري لدراسة " مسألة الجزائرية "، هذه الزيارة خلفت مناخا فكريا لم يكن قائما من قبل ورغم البدايات الأولى للصحافة الجزائرية كانت بداية متواضعة شكلا ومضمونا²، ومن بين الصحف التي ظهرت نهاية القرن 19م وبداية 20م صدور **جريدة الحق** التي صدرت في عنابة سنة 1893، والتي توقفت عن الصدور في 1894م، و**صحيفة النصيح** التي صدرت في 1899م أنشأها مستعرب فرنسي يدعى "دوارد قوسلان"، لكن من الصحف التي أثرت في الرأي العام الجزائري في مطلع القرن 20م **صحيفة المغرب** 1903م، وهي ذات لسان عربي مع اتجاه إصلاحى إسلامي وكان صاحبها الفرنسي السيد

¹ سليمان بن رابح: العلاقات الجزائرية العربية بين الحربين 1919-1939، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2007، 2008، ص 59.

² عمار يزلي : الثقافة في مواجهة الاحتلال دراسة، دار السهل ، الجزائر، 2009، ص ص 210. 211.

ببير فونتانه، ومن الذين كتبوا فيها عبد القادر المجاوي والمولود بن موهوب¹ ومحمد بن أبي شنب² ومحمود كحول بالإضافة إلى هذه كانت هناك صحف أخرى كصحيفة المصباح بوهراي ولم تعمر أكثر من سنة (1904 - 1905م) وجريدة الجزائرية أنشأها مدير الشؤون الأهلية لويسني جريدة بالغة العربية تحت عنوان الجزائرية تمويتها وتضليلا. وهناك كذلك جريدة الإسلام الصادرة عام 1908م وهكذا فخلال العقد خلق الجزائريون صحافة مؤثرة بلغتهم الخاصة، وقد كانت قسنطينة ووهراي والجزائر مراكز النشاط الصحفي، واعتقادا منهم أن الصحافة رسالة حضارية استعمل الجزائريون صحفهم للهجوم على الإدارة الاستعمارية، ومن بين القضايا التي أتيحت للجزائريين للهجوم هي قضية التجنيد لكن الجزائريين كانوا على وعي أن تهجماتهم على فرنسا لا تخدم قضيتهم بشيء لذلك وجب عليهم تقادي التهجمات الشخصية والفضائح، ويجب أن تكون هناك شجاعة في التعبير عن رأيها لكي تكسب ثقة فرنسا بأن تقبل مطالبها. ومن مظاهر هذا العهد أيضا طبع وإحياء الأعمال التاريخية الجزائرية وفي هذا الإحياء للتاريخ الوطني لتحقيق الربط بين الأجيال، نشرت أعمال ابن عمار وابن مريم كتابه (البستان) والورتلاني والغبريني وكل هذه الأعمال كانت قد كتبت عن العهد الجزائري الذي يوافق العصور الوسطى وعصور النهضة والتقدم في أوربا ، كما نشرت سنة

¹ المولود بن الموهوب :هو فقيه ومفتي وخطيب، ولد 1899 في قسنطينة. نشأ وتعلم بها، عين سنة 1895 أستاذ للغة والعلوم الإنسانية بمدرسة سيدي الكتاني بقسنطينة، ثم كان مفتيا للمذهب المالكي بها سنة 1908، وفي نفس السنة أسهم في تأسيس نادي صالح باي الثقافي كما كان يلقي دروس الوعظ في الجامع الأخضر توفي سنة 1939 للمزيد: ينظر عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، 1980، صص 324-325 وللمزيد أيضا ينظر احمد توفيق المدني: حياة كفاح مذكرات، في الجزائر 1925-1954، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2009، صص 40-43

² محمد ابن شنب: (1869-1929)، واحد من كبار علماء الجزائر ولد في تاكبوا قرية لمدية، تتلمذ على يد الشيخ أحمد باصارق فحفظ القرآن على يده عين أستاذا للغة وأصوله وتولى إفتاء السادة المالكية سنة 1908 ، وله عدة مؤلفات منها "تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب" كتاب "إصلاح الزوايا ببلاد القبائل" توفي في فيفري 1929م ، أثر مرض، للمزيد ينظر. محمد بسكر: أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، ج2، دار كردادة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص

1903 كتاب هام عن حياة وتراث الأمير عبد القادر "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر"¹.

3 - ظهور النوادي والجمعيات الثقافية :

إن ظهور النوادي والجمعيات لم يكن صدفة بل كان نتيجة قانون 1901م، الذي أعطى حق إنشاء الجمعيات والنوادي دون مراقبة وهذا القانون جاء به فالديك روسو وهو الذي كان يرى أن يرتقي المسلمين في دينهم وأخلاقهم لذلك طلب من الإدارة الاستعمارية بإعطائهم حرية إنشاء الجمعيات والنوادي وهو قانون صادر في 01 جويلية 1901 حيث ينص على "أن يعترف المواطنين بالحق في إنشاء الجمعيات والنوادي خارجة عن المراقبة القوي الخارجية"² لان النوادي كانت في السابق تتعرض للمضايقة والمراقبة من طرف السلطات الاستعمارية لكن بعد هذا القانون ظهرت هذه الجمعيات والتي تزامنت مع ظهور حركة الشبان الجزائريين، فعلى غرار الجمعيات الثقافية والعلمية التونسية كالخلدونية 1896م والصادقية 1905م مظهرت في الجزائر في البداية، أما تاريخ بداية ظهور هذه الجمعيات فيعود إلى نهاية القرن الماضي وذلك بتأسيس أول جمعية تعاونية 1897م في مدينة الجزائر تحت رئاسة السيد علي الشريف، إلا أن هذه الأخيرة لم تقم بدورها كما يجب، وذلك لعدم مبالاة مجلسها الإداري والتي تم حلها في عام 1908م، ولذلك فإن أول جمعية حقيقية برزت إلى الوجود الرشيدية وذلك في بداية هذا القرن وهي جمعية ودادية لقدماء تلاميذ المدارس العربية الفرنسية لمدينة الجزائر وقد أسست سنة 1902م من طرف السيد سروي (مدير مدرسة أهلية بنفس المدينة) وهو الذي ترأسها³، وقد ركزت على نشر التعليم وتقديم الدروس وإلقاء المحاضرات وكان من بين أعضائها ابن التهامي وابن بريهمات. ونجد كذلك الجمعية التوفيقية التي أنشأت في العاصمة سنة 1908م تولى رأسها ابن التهامي تهتم بالتاريخ والأدب والعلوم والقضايا

¹ أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية ، ج2، المرجع السابق ، ص 136.

² قمير قوادرية : المرجع السابق ، ص 34، 35.

³ أحمد صاري : شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، نق: أبو القاسم سعد الله ، المطبعة العربية، الجزائر، 2004،

الاجتماعية إلى جانب ذلك نجد نادي صالح باي الذي أسسه مجموعة من المثقفين بالاشتراك مع فرنسيين في سنة 1907 بقسنطينة، حيث سعى إلى ترقية أوضاع الجزائريين المادية والمعنوية وإلقاء المحاضرات الأدبية والعلمية كما ظهرت كذلك فئة من المصلحين والعلماء ونشأة نخبة¹

الجزائرية متمثلة في النخبة الليبرالية، وكتلة المحافظين² وكان بعض هؤلاء المصلحين الذين ينادون بنشر التعليم والتقدم والتسامح يؤمنون بالجامعة الإسلامية التي دعت إلى تحرير العقل والعودة إلى الإسلام الصحيح ومن بينهم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده الذي زار الجزائر سنة 1903³.

ثانيا - مسار زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر:

لقد بدت الجزائر في نهاية القرن 19م ومطلع 20م كان أمرها ألا لزوال وان شخصيتها الدينية والحضارية قد اندثرت، وقد قام حكامها العامون وخاصة في ظل الجمهورية الثالثة، وفق خطة مدروسة بدعم من المعمرين على تنفيذ مشاريعهم التدميرية وخاصة في فترة حكم "تيرمان وكامبون" في أواخر القرن التاسع عشر، ولكن بحلول القرن 20م بدأت ملامح التغيير الايجابي تظهر على سياسة الحكومة العامة، وظهر مناخ سياسي مشجع بفضل الإصلاحات الحاكم العام "جونار"، خلال فترة حكمه الثانية (1902-1911)، ساهم في قيام تلك الزيارة التاريخية المباركة، كما تعرف الشيخ محمد عبده على عائلة الأمير عبد القادر الذي كانت تربطهم علاقات خاصة وكان ذلك حين حل ببيروت ودمشق، وجرت بينهما مرسلات عديدة

¹ جماعة النخبة: تنظم مجموعة من الجزائريين جزءا منهم متشبع بالثقافة الفرنسية حتى النخاع مثل بن جلول وابن التهامي أما الجزء الآخر فكان متشبع بالثقافتين العربية والفرنسية مثل الأمير خالد، للمزيد ينظر عبد الوهاب بن خليف: تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، ط1، دار طليطلة الجزائر، 2009، ص 114، 115

² كتلة المحافظين: تشكلت كتلة المحافظين عام 1900، هي مجموعة من الشخصيات المتشعبة بالثقافة العربية الإسلامية كانت تؤمن بضرورة تكريس الهوية الإسلامية في الأوساط المجتمع الجزائري من أجل المحافظة على كيان الأمة الجزائرية. للمزيد ينظر: عبد الوهاب بن خليف: المرجع السابق، ص 108، 109

³ بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 323-333

في مواضيع شتى من الإصلاح والجامعة الإسلامية ويبدو أن الأمير عبد القادر كان عضو في الجامعة الإسلامية وهو أبنائه كانوا متحمسين لفكرة الإصلاح وإخلاصهم للجامعة الإسلامية¹. حيث حل الإمام محمد عبده بالجزائر سنة 1903 وأقام بها عشرة أيام²، وكان ذلك يوم الخميس 27 أوت 1903 إلى يوم 06 سبتمبر ثم واصل زيارته إلى قسنطينة مابين 06 إلى 09 سبتمبر من نفس السنة، وقد حل بالجزائر يوم 27 أوت قادما إليها من مرسيليا قد³ وجد الشيخ أبو القاسم الحفناوي⁴ في انتظاره في هذه الأخيرة لمرافقته إلى الجزائر، دون إعلام مسبق. وكان الحفناوي عندئذ محررا من جريدة المبشر التي تصدر عن الحكومة العامة، وعند وصول الباخرة إلى الجزائر وفارقه الشيخ الحفناوي الذي انتهت مهمته، ثم تولاه آخرون كانوا يعدون عليه أنفاسه ويتبعون خطواته ونظراته فيكتبون عنه وعن زواره التقارير للفرنسيين⁵، حيث نزل الشيخ عبده في فندق الواحات (Hôtel l'Oasis) قبل أن ينزل ضيفا عند السيد مصطفى ابن الأكل⁶، وقد التقى بأحد تجار في باب عزون (العاصمة) وهو الشيخ عمر بن سماية كان يتاجر في محل لدخان ابن أخ الشيخ عبد الحليم بن سماية الذي كان من المعجبين بأفكار محمد عبده وقد عرفه التاجر على عمه المذكور فارتبطت بينهما صلة العلم والإعجاب وربما كانت هذه المعرفة مرتبة من السلطات الاستعمارية؛ إذ لا يمكن أن تكون عفوية. حيث قام الإمام محمد عبده بشرح سورة العصر في مسجد صغير بناه

¹ أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1998، ص583، 584.

² فضيل دليو : تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة 1830-2013، ط1، دار هومة 'الجزائر'، 2014، ص45

³ Charles Rebert Ageron: **histoire de l'Algérie contemporaine(1870-1954)**, Tome2, 1 édition, presse universitaire de France, France 1979, p180

⁴ أبو القاسم الحفناوي :ولد سنة 1850م ،ببلدية الديس بالقرب من بوسعادة ، حفظ القرآن على ي محمد بن عبد الرحمان وانتقل سنة 1883 إلى الجزائر العاصمة ،رغبة في تحصيل العلم وهناك شارك سنة 1884 في تحرير جريدة المبشر الرسمية التي كان يشرف عليها معلمه في الفرنسية العالم المستشرق آرنو رئيس المذهب المالكي سنة 1925 وللحفناوي العديد من الكتب منها: "تعريف الخلف برجال السلف ".أنظر عمار عمورة:الجزائر بوابة التاريخ الجزائر الخاصة، ما قبل التاريخ إلى 1962، ج2، دار المعرفة،الجزائر، 2009، ص277

⁵ أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص585-586 .

⁶ كمال خليل :المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر:التأسيس والتطور (1850-1951)، شهادة ماجستير في تاريخ المجتمع المغربي الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008، ص153

مصطفى ابن الأكل وكان الشيخ عبده لا يغادر منزل الأكل إلا قليلاً¹، من أجل الاجتماع بالناس والاستماع لأفكارهم والإجابة على تساؤلاتهم، حتى أنه اجتمع لديه عند السيد مصطفى ابن الأكل أكثر من 150 شخص كان منهم المفتي محمد بوقندورة وبن سيام علي الشريف وطرحت العديد من القضايا في الصلاة والصيام والحج².

ويقول عنه الشيخ عبد الحليم بن سماية: {انه لا يرضى لهذه الأمة من علم اللسان إلا أفصحه ومن علم العقائد إلا أوثقه وأصدقه ومن علم الفقه إلا أوفقه واجمعه وأبعده من الخلاف ويبين لهم انه يمكنهم الاجتماع وان تعددت المذاهب}³ أما يوم الجمعة 28 اوت 1903 التقى الشيخ محمد عبده بابن زكور الإمام المسجد الكبير ومفتي الحنفية بوقندورة في مسجد لابيشرى ويوم السبت 29 اوت 1903 زار المكتبة الوطنية ومسجد سيدي عبد الرحمان⁴. ثم انتقل إلى الشرق (قسنطينة) يوم 06 سبتمبر 1903 حيث أنها كانت زيارة خاطفة حيث هاجم فيها الطرق المبتدعة والجهل⁵ وكانت خاطفة لأنه كان مراقبا من طرف الإدارة الاستعمارية التي تتبع خطواته وسكناته ثم استقبله من طرف احد التجار المعروفين في المدينة وهو موبري خليل بن عمر الدزيري ثم بدأ زيارته في المدينة، حتى انه زار هذه المدرسة الشرعية الفرنسية مع الشيخ المولود بن الموهوب وتحدث عن طلبتها، وزار مديرها السابق محمود بن الشاذلي وبعض الوجوه المعروفة في المدينة مثل الموظفين الحكوميين والمنتخبين، والقضاة... وزار المكتبة العربية في شارع عبد الله باي⁶.

¹ ابو القاسم سعد الله : المرجع نفسه ، ص 590.

² كمال خليل: المرجع نفسه ، ص 153

³ المهدي البوعبدلي: "جوانب مجهولة من آثار زيارة محمد عبده للجزائر 1903"، مجلة الأصالة، العددان 54-55، فيفري، مارس 1978، ص 81. أنظر الملحق رقم 03.

⁴ أحمد دراوي: الجزائر والجامعة الإسلامية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص 78.

⁵ احمد صاري: المرجع السابق ، ص 23.

⁶ كمال خليل : المرجع نفسه ، ص 154

وقد أشار إلى ذلك عثمان أمين على زيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر في كتابه رائد الفكر المصري محمد عبده بقوله : « كان الأستاذ إبان عودته من أوربا بان يقف على أحوال المسلمين في شمال إفريقيا فقام بجولة إلى الجزائر وتونس وقد اكتشف هناك وجود حزب إصلاحى كبير ينتمي إليه¹ إذ نجد هذا الأخير يوصي صاحب المنار بالآلا يذكر فرنسا بسوءها لئلا تمنع المنار² من الدخول... إذ قالوا له إننا نعهده من الحياة لنا فإذا انقطع انقطعت الحياة³. »، ثم يضيف رشيد رضا⁴ إلى ذلك بقوله : « وقد وجد له في الجزائر حزبا دينيا ينتمي إليه من حيث لم يكن يعلم وإنما الصلة بينهم وبينه مجلة المنار⁵. »

ووصف رشيد رضا بدايات هذه الزيارة بقوله : « كان الإمام الأستاذ قد اخبرنا عند إرادته السفر من أوربا في صيف 1903م أنه ينوي السفر منها إلى الجزائر وتونس للوقوف على أحوال المسلمين في هذين القطرين وآثار الإسلام فيهما... كتمت عزم شيخنا على زيارة والواضح أن الإدارة الاستعمارية بالجزائر كانت تتوجس خيفة من هذه الزيارة التي يمكن في نظرها أن تكون لأجل تجديد العهد والاتصال بين الأعضاء جمعية العروة الوثقى في الجزائر، إذ أن جواسيس الاستعمار كتبوا من القاهرة والإسكندرية رسالتين إلى والي العام بالجزائر

¹ ع المجيد بن عدة: الخطاب النهضوي في الجزائر 1954-1925، شهادة دكتورة في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2004، ص80.

² مجلة المنار: صدر العدد الأول من المنار كصحيفة أسبوعية في مارس 1898، ثم تحولت إلى مجلة شهرية آخر عدد طبع منه جزء الأول من المجلد 35 الصادر 29 ربيع الأول 1354هـ. للمزيد ينظر إبراهيم العدي: 'رشيد رضا المجاهد' سلسلة أعلام العرب، ط1، المؤسسة المصرية للنشر، مصر، لث ن، ص135

³ أحمد عيساوي: أعلام الإصلاح الإسلامي في الجزائر، ج1، مؤسسة البلاغ لنشر والدراسات والبحوث، الجزائر، 2013،

⁴ رشيد رضا (1865-1935م)، محمد بن علي رضا محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني، البغدادي (حسيني الأصل)، صاحب مجلة المنار ذائعة الصيت والسمعة، ولد في قرية صغيرة من قرى طرابلس الشام بالقلمون، أحد أبرز علماء الدين الإسلامي المرموقين، رحل إلى مصر عام 1897م فوجد فيها الشيخ محمد عبده الذي تتلمذ على يده وعلى يد أستاذه جمال الدين الأفغاني: أنظر، ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة (1798-1939). تر: كريم عزقول، دار النهار، بيروت، د ت، ص 270-273

⁵ خير الدين شترة: قضايا تاريخية في الإسهام الفكري والحضاري لنخب الجزائرية بالمهجر وأبحاث في قضايا فكرية معاصرة، ج1، ط خ، دار الصديق لنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص41.

عندما علموا بعزم الشيخ على هذه الزيارة ذكروا فيهما أن الشيخ يقصد بالسفر إلى الجزائر تحريض المسلمين على الثورة والخروج عن طاعة الحكومة وأنه قادر على ذلك فعلاً¹. «

ومحمد عبده يذكر في هذه الزيارة : « انه لم يرى من الحكومة شيئاً يسوءه، بل قابله رجالها من القطرين (الجزائر وتونس)، بالإجلال والاحترام على ما بثوه حوله من الجواسيس السريين في كل مكان، وهو لم يجهل هذا ولا كان يخاف منه لأنه كان يعرف مقام نفسه ومكانته التي تضطر الحكومة إلى إجلاله². «، إذ نجد أن الشيخ محمد عبده قد زار أوربا عدة مرات خصوصاً سويسرا أو بريطانيا وفرنسا، وكان في أوربا خلال صيف 1903م، فزار الفيلسوف الانكليزي هربرت سبنسر³ في العاشر من شهر أوت 1903م، وتحدثا عن حالة الشرق والغرب العربي، ومن بريطانيا حل بفرنسا وقضى بها في باريس حوالي أسبوعين، ولعله اتصل بالسلطات لتسهيل زيارته للجزائر وأجري الاتصال به لترتيب هذه الزيارة، إذ أنه لا بد من رخصة خاصة لدخول الجزائر، وهذه الرخصة لا تمنح إلا لمن تعهد بعدم إثارة الشغب والخوض في المسائل الحساسة والسياسية، مما يدل على ترتيب الفرنسيين لهذه الزيارة⁴، ومنذ أفريل 1903م كتبت المنار مقالة بعنوان (فرنسا والجزائر)، كأنها تمهيد لزيارة الشيخ محمد عبده، وقد جاء فيها بعض النصائح لدولة فرنسية منها : « بأن تعامل مسلمي مستعمراتها بالحسن لتملك قلوبهم وتؤمن عائلتهم. «، وفرقت المنار بين معاملة حكومة الفرنسية وإدارتها بالجزائر، وقالت معتذرة أن فرنسا لم تكن مرتاحة للمعاملة القاسية التي تعامل بها مسلمي الجزائر، ولكنها ترى أنها هي الطريقة الضرورية إلى أن يأتي ما هو خير منها وأشارت

¹ الطاهر عمري : النخبة الجزائرية وقضايا عصرها ، من بداية القرن 20م إلى مابين الحربين العالميتين، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 201، ص62

² رشيد محمد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده 1622-1363هـ/1849-1905، ج1، ط2، دار الفضيلة، مصر، 2006، ص872

³ هربرت سبنسر: (1820-1903) فيلسوف بريطاني وعالم اجتماع حاول تكوين فلسفة شاملة على أساس الاكتشافات العلمية في عصره، تأثر سبنسر بالعالم الطبيعة الانكليزي تشارلز داروين، حقق شهرة واسعة كفيلسوف ولكن العلماء اثبتوا فيما بعد أن الكثير من نظرياته كانت خاطئة، من أهم مؤلفاته: مبادئ علم الاجتماع، مبادئ علم الإحياء للمزيد أنظر: إميل بوترو: العلم

والدين في الفلسفة المعاصرة، متر: احمد فؤاد الالهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1973، ص71

⁴ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص585-586

المنار إلى زيارة رئيس الجمهورية الفرنسية للجزائر 1903م ووعدته للأهالي بأنه سيولي الجزائر معاملة أفضل، وكانت المنار معتدلة جدا في معالجة العلاقة بين الجزائر وفرنسا.

أما عن غرض الزيارة فهناك من يرى أن مجيء الأستاذ محمد عبده إلى الجزائر كان وراءه غرض سياسي يتمثل في إعادة تنظيم جماعة العروة الوثقى والجامعة الإسلامية، التي كان جمال الدين الأفغاني قد أسسها عند مجيئه للجزائر، فالشيخ محمد عبده يذكر إن جمال الدين الأفغاني زار الجزائر، ورأى بعينه ما يلاقيه أهلها من ظلم الفرنسيين، كما جاء في حديث صحفي نشرته جريدة " المراسلة الباريسية " لسان حال الحزب الجمهوري المستقل، حيث يذكر صاحب المقال أن الأفغاني صرح في جواب لصحفي أنجلو سكسوني بأنه رأى الحكومة الفرنسية ترتكب في الجزائر إعمالا منكرا، ولكن رشيد رضا كذب ذلك بقوله : « لم يكن الغرض من زيارة الشيخ عبده سياسي، بل كان من اجل إرشاد المسلمين إلى حقيقة دينهم والطريقة المثلى إلى إحيائه وإحياء لغته مع البعد عن السياسة التي قال فيها ما دخلت السياسة عملا إلا أفسدته¹. »، فإن الذي يغلب على هذه التخمينات التي لا تستند إلى أساس علمي من الوثائق التاريخية، ولا يوجد فيما استطعنا الاطلاع عليه في هذه الزيارة، وما يؤيد ذلك والغالب أن هذا الادعاء هو من ترويج المخبرين، الذين كانوا يتابعون الشيخ عبده في جميع تحركاته واتصالاته ويرفعون بذلك تقارير يغلب عليها الخيال وانعدام الدقة²، غير أن هذا الموقف الذي اتخذه الأستاذ الإمام في الجزائر والنصائح التي توجهها بها إلى علمائها، والرسائل التي بعث بها إلى بعض هؤلاء العلماء قد أكدت أن الرجل داعية لا يمل الدعوة إلى أن يبتعد علماء الدين عن الانشغال بأمور السياسة العليا، والتعرض لسلطات الاحتلال يقتصر على عمالهم وهمهم على الإصلاح الديني بصرف النظر عن الوطن الذين يعيشون فيه والسلطة المستعمرة التي تحكم هذه الأوطان³، ومن بين النصائح التي قدمها الإمام والشيخ محمد عبده عند زيارته للجزائر هي : « الجد في تحصيل العلوم الدينية والدنيوية من طرقها

¹ رشيد رضا :تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، ج1، ص872.

² طاهر عمري : المرجع السابق ، ص.63

³ محمد عبده :الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، ج1، ص 91.

القريبة، والجد في الكسب وعمران البلاد من طرق المشروعة الشريفة مع الاقتصاد في المعيشة، ومسالمة الحكومة، وترك الاشتغال بسياسة وبهذا الأخير يتم لهم ما يريدون من مساعدة الحكومة الفرنسية لهم على ما قبله، فإن الحكومات في جميع الأرض يضيقون على البلاد التي يستعمرونها ماداموا يعتقدون أن أهلها ساخطين عليهم أو لهم ضلع مع حكومة أخرى، وبهذا الإعراض عن السياسة لا ينافي مخاطبة الحكومة فيما يرونها ضارا لهم من القوانين والمعاملات فإن لم تكشف ظلتهم بعد الالتجاء إليها في كشفها كانوا معذورين إذا سخطوا وتربصوا بها الدوائر¹ .»

أما عن النخبة التي قابلت الشيخ محمد عبده فهي ثلاثة اتجاهات وهم (المحافظون، ومجموعة المثقفين، وثالثا جماعة الأعيان). أما عن الاتجاه الأول فهم المحافظون وأصحاب العمام الذين يراعون بدقة التقاليد العربية الإسلامية، وكان منهم محمد بن زكور ومحمد بن قندورة المفتيان المالكي والحنفي بالجزائر، وعبد الحليم بن سماية وعبد القادر المجاوي ومحمد السعيد بن زكري، حيث سمي هؤلاء بـ " العبدويين"² ، كما كانت هناك علاقة كبيرة بين الشيخ عبد الحليم بن سماية والشيخ عبده إذ نجد أن هذا الأخير يتوجه في إحدى رسائله إلى عبد الحليم بن سماية بعد النصائح، التي قدمها لشعب الجزائري يقول له فيها : « وإني كنت على ثقة من كمال عقلك، ومعرفتك بما إليه حاجة المسلمين اليوم فاني لا أجد مندوحة عن التصريح بالتحذير من النظر في سياسة الحكومة أو غيرها من الحكومات ... فيما لا مناجاة منه³ . »، إذ نجد هناك تبادل برسائل، ذلك دليل بالقصيدة التي بعث بها الشيخ عبد الحليم بن سماية التي يقول فيها :

فأنت شمس تنير على المدى***أتى نورها من غير أن نتطلعا.

¹ رشيد محمد رضا: "تصيحة الأستاذ الإمام لأهل الجزائر وتونس"، مجلة المنار، مج06، ج15، شعبان 1321، أكتوبر 1903، ص608.

² طاهر عمري: المرجع السابق، ص63

³ محمد عبده: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ، ج1، ص 92 ، أنضر الملحق رقم04.

أدير بذكرك الذي منك قد مضى *** فاشرب كأسا بالصفاء مشعشعا.

يذكر فيك المجد والعلم والتقى *** فأنظر من عاياك عرشا مرفعا¹.

أما الاتجاه الثاني فقد مثله مجموعة من المثقفين الحديثين، الذين كانوا يؤمنون بضرورة التجديد الإسلام بالاتجاه الحداثي ومن خلال الاستفادة من محاسن الحضارة المعاصرة، ذلك دون التخلي عن معتقداتهم كمسلمين، وكان أهم أفراد هذه النخبة محمد بن مصطفى بن خوجة² ومصطفى الشرشالي مكلف بالدروس بجامعة الجزائر فيما بعد ومحمد ابن شنب. وكان هناك أيضا الاتجاه الثالث الذي مثلته الأعيان التي كان بينها أفراد ذوي التكوين الفرنسي كاملا. وكان بعض هؤلاء يدعو إلى الإدماج الكامل في فرنسا وآخرون يطالبون بالحريات والوظائف، هذه الجماعة كانت تمثل التوجه الثقافي المتفرنس، وكان معظمهم منخرطين في السياسة، وكان من أشهرهم الطيب أبو القاسم بن التهامي (المدعو ابن تامي)، والمحامي أحمد بوضربة والمترجم العسكري المتقاعد أحمد بن بريهمات، وكان ثلاثتهم متجانسين بالجنسية الفرنسية³، حيث كان الفكر العقدي في الجزائر محافظا على تقاليده الدينية مرتكزة على أسس طرقية الصوفية، لا ينبغي فيها للمسلم الاجتهاد وانتقاد هذه العقائد، بل يجب التقليد والتقيد الأمر، الذي خلف ظاهرة الخمول والجمود، وهو الوضع الذي انطلق منه الفكر الإصلاحية نحو التغيير والخروج من دائرة التخلف بإعمال العقل والنقل والتجريح، والموازنة بينهما وبين العلاج مكامن الخل، خاصة ما تعلق منها بالأباطيل، التي حالت دون تقدمهم وقد كان لسلطات الاحتلال الفرنسية فائدة في ذلك، كونها كانت تحارب كل مظاهر اليقظة بما فيها نبذ القدرية " المكتوب "، لذلك بعث الشيخ علي بن عبد الرحمان برسالة

¹ محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص125

² مصطفى بن خوجة: ولد عام 1381هـ/1865م، بالجزائر، نشأ وتعلم بمسقط رأسه وحفظ القرآن وتعلم مبادئ العلوم على يد شيوخه كالسعيد بن زكري فهو مشهور بالشيخ الكمال من أتباع محمد عبده، ومن المصلحين الذين حاربوا البدع والخرافات، ألف كتابا عن حقوق المرأة في الإسلام "الاكتراث في حقوق الإناث"، اشتغل محررا في جريدة "المبشر" وكان يدرس التفسير والفقه وغيره وللمزيد أنظر: تركي رابح عمامرة: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط5، منشورات ANEP، الجزائر، 2001، ص 134.

³ طاهر عمري: المرجع السابق، ص64

استفسار حول حقيقة منهج الشيخ محمد عبده وتأثيره على سلوك الديني للفرد الجزائري سلبا وإيجابا، خاصة في ظروف الاحتلال¹، وبعد أن تلقى الشيخ بن سماية رسالة الشيخ علي رد عليه بأخرى يبين له فيها أهمية الفكر التجديدي لمحمد عبده في المجتمع فقال فيها : « مشرفنا بشموس أنواره ورياضه الطيب الذي ننتعش باستنشاق أزهاره ... وتطلع من الفنون على اختلاف أنواعها². »

أما عن الهدف المعلن عن زيارة الشيخ محمد عبده هو إرشاد المسلمين وتقديم الفتاوى ونصحهم والابتعاد عن السياسة وعدم التعرض للحكومة الفرنسية³، كما كانت دعوته أيضا إلى إصلاح المجتمع الجزائري وإرشاد الناس للتطلع إلى ما هو أفضل⁴، لكن ما رأي الفرنسيين في ذلك؟ لماذا سمحوا له بزيارة الجزائر والالتقاء بعلمائها وإلقاء درس عام؟ رغم أننا لم نقرأ بعد عن ذلك في الوثائق الفرنسية، لكن على ما يبدو أن الإدارة الفرنسية كانت تطمح لتحقيق أمرين بزيارة هذا الأخير للجزائر أولهما دولي، والثاني محلي.

أما عن الكسب الدولي، فهو أنها كانت تخشى تأثير حركة الجامعة الإسلامية بقيادة السلطان عبد الحميد الثاني، قد فتح علماءها ملف هذه الحركة وأخذوا يدرسونه ويكتبون التقارير والمؤلفات، كما أن فرنسا كانت تريد الاستفادة من اسم ونفوذ الشيخ عبده في العالم الإسلامي على حساب بريطانيا. أما فيما يخص الكسب المحلي فإن الاتجاه الجديد للسياسة الفرنسية في الجزائر، الذي ظهر منذ التسعينات من القرن 20م هو تحقيق الإدماج عن طريق توسيع التعليم الفرنسي، وتكوين نخبة مرتبطة بالثقافة الفرنسية لتحل محل الطرق الصوفية (الإسلام الجزائري)، الذي عبر عنه " آدمون دوتيه " البركات بأنه إسلام الدروشة

¹ منير صغيري: "الفكر الإصلاحي التجديدي للشيخ محمد عبده وأثره على الحركة الإصلاحية في الجزائر 1931-1903"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 06، جويلية 2016، ص 266

² المهدي البوعبدلي: المرجع السابق، ص 79

³ محمد قنانش: الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحريين 1919-1939، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 23 .

⁴ مازن صلاح حامد مطبقاني: جمعية علماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1249-1258هـ/1921-1929م، بحث مقدم للحصول على شهادة ماجستير في الآداب، جامعة الملك عبد العزيز، ص 42.

والسحر وتوريث البركات، وكان ترويج المنار أولاً ثم ترويج أفكار الشيخ محمد عبده ثانياً وحضوره الشخصي، كل ذلك يخدم الاتجاه الفرنسي الجديد¹.

ويبدو أن الشيخ محمد عبده قد كتب مذكرات عن زيارته للجزائر، لكن هذه المذكرات قد ضاعت أولم تكمل، فقد أخبر الشيخ رشيد رضا أنه علم منه أنه كتب المذكرات بشأن البلدين المذكورين وأنه يريد إيداعهما في فصول يتناول فيها الإصلاح بالأسلوب القصصي "المفرغ في قالب فكاكي"، لكن الشيخ محمد عبده توفي قبل أن ينشر ذلك، ثم إن أوراقه الباقية ليس فيها تلك المذكرات².

ثالثاً - انعكاسات زيارة محمد عبده على النخبة الجزائرية :

إن زيارة عبده إلى الجزائر 1903م كان لها الأثر والنجاح الكبير والانطباع الراسخ الذي استمر طويلاً في ذاكرة بعض الشخصيات المثقفة³، كما مثلت زيارته عاملاً حاسماً في انتعاش الحركة الفكرية الإسلامية في الجزائر، حيث عرفت الجزائر الحركة الإصلاحية⁴ نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م، وتأكدت بصفة جلية واضحة بعد زيارة الشيخ محمد عبده في 1903م⁵، كما لقيت هذه الزيارة نجاحاً كبيراً في أوساط المثقفين، كذلك مما ساعدت في تعميق حركة الإصلاح بالجزائر بعودة بعض المثقفين إلى الجزائر من المشرق العربي الذين

¹ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص 587، 588.

² رشيد محمد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده (1266-1363هـ/1848-1905م)، ج2، ط2، دار الفضيلة لنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص 504.

³ شارل روبيير أجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عيسى عصفور، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1982، ص114.

⁴ الحركة الإصلاحية: هي ذلك النشاط الديني، الثقافي، الإحيائي، التقويمي، الذي تولته وجسده بين الحرين ثلة من العلماء والمثقفين المنتسبين بالعروبة والإسلام، والمتأثرين بالإصلاحية المشرقية في سبيل العودة بالجزائريين إلى الإسلام الحق، والقضاء على كل عوامل الفساد والانحلال الثقافي والاجتماعي (وسياسي) ضمنياً. وتوسلت إلى ذلك بالتعليم الحر، والعمل المسجدي، وإصدار الصحف، وبعث التاريخ الوطني للمزيد ينظر: بشير بلان: مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من ثقافة الفرنسية 1925-1940، عالم المعرفة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص16.

⁵ كمال عجالي: الفكر الإصلاح في الجزائر الشيخ الطيب العقبى بين الأصالة والتجديد، شركة مزوار لنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 39.

كان لهم دورا كبيرا من بينهم الشيخ عبد الحميد بن باديس¹، كما ازدادت هذه الأفكار انتشارا وذبوعا من طرفه وظهر ما يعرف بالحركة الإصلاحية، التي لعبت دورا مهما في بعث الروح الوطنية والمحافضة على الهوية الجزائرية بالحق جيلا من النخبة المثقفة الطلائعية لتفكير²، حيث اعتبر علي مراد هذه الزيارة حدثا هاما في حركة النهضة الجزائرية، التي شهادتها في أوائل القرن 20م³، كما تلى هذه الزيارة التي كانت سنة 1903م الآثار الطيبة في نفوس الناس من خلال الدروس والمحاضرات التي ألقاها الشيخ محمد عبده⁴، حيث خلفت هذه الزيارة أثرا كبيرا وبعدا معنويا هائلا خاصة بالعلماء الدين والمثقفين الذين كانوا يشكلون حزب محمد عبده في الجزائر ففضلا عن الجو الحماسي، الذي أضفاه وجوده على الجزائريين بنصائحه التشجيعية سجلت دلالة الحدث التاريخية، التي من خلالها أعيدت الصلة العاطفية والروحية بين الجزائر والكيان الواسع للأمة الإسلامية، حيث ظهرت فئة مثقفة تدعو إلى الإصلاح وفق أسس والمبادئ، التي جاء بها الإمام محمد عبده وأن كانت هذه الأذهان واعية قليلا إلا أنها استطاعت أن تستميل لتعاطف الناس وانضمامهم إلى النزعة الجديدة، وكان من أهم أتباع محمد عبده : عبد القادر المجاوي، عبد الحليم بن سماية، حمدان بن لونيبي، مولود بن موهوب، وغيرهم الذين كانوا اغلبهم يمثلون صف المحافظين المتميزين بالتأييد

¹ الشيخ عبد الحميد ابن باديس: ولد ابن باديس. في (1308-1359هـ/1889-1940م)، في مدينة قسنطينة من أصول لمعز بن باديس الصنهاجي، حفظ القرآن على يد الشيخ محمد المداسي علمه الشيخ احمد أبو حمدان بن لونيبي مبادئ العربية والعارف الإسلامية ولقد كانت له اتصالات بكثير من العلماء الشيوخ منهم محمد الطاهر بن عاشور، والشيخ محمد الخلي، وقد اشتغل في تعليم الطلاب والعامة، ومن أهم مؤلفاته: من الهدى النبوي، ورجال السلف ونساؤه، إلى غاية تأسيس جمعية علماء المسلمين في 1931، وتوفي في 16 أفريل 1940 للمزيد ينظر: محمد بهي الدين سالم : ابن باديس فارس الإصلاح والتطوير، ط1، دار الشروق، 1999، ص31، وينظر أيضا : Ahmida Mimouni: BEN BADIS PAR Lui-même textes de cheikh Abdelhamid Ben BADIS ,Editions MIMOUNI, 2009, p

² كريد خديجة : الحركة الإصلاحية في الأوراس محمد الغسييري أنموذجا 1930-1974، شهادة لنيل الماستر في التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، 2014-2015 ، ص09.

³ علي مراد : الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925-1940 بحث في تاريخ الديني والاجتماعي، تر: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص38

⁴ إبراهيم مياشي: مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962، غرناطة لنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013 ، ص229.

والمتحمسين للوطنية وللأفكار بالتجديد والإصلاح الديني¹، حيث أكدت هذه الزيارة أن الجزائر، ورغم كونها تعيش تحت نير الاحتلال إلا أنها حاضرة في فكر دعاة الجامعة الإسلامية، فعكست بصدق حلقات التواصل التاريخي والحضاري بين الجزائر والمشرق العربي، ومثلت بعدا معنويا هائلا خاصة بالنسبة لنخبة العلماء والمثقفين الذين كانوا يمثلون حزب "محمد عبده"²، فكان هذا الأخير هو الذي أوقد في أوساط المثقفين التقليديين في الجزائر شعلة الإسلام، وجسد روحه في الدعوة إلى ثورة فكرية تزعزع أركان الجهل، وتقضي على مصادر الجمود ذلك أنه دعى المسلمين لرجوع إلى بساطة الإسلام الأولى، والتأمل من منبعي الدين اللذين، ما زالا على حيويتهما وهما : القرآن والسنة، والعمل على التوفيق بين الدين وعلم الحديث، فبين أن الحقائق التي جاء بها علم الحديث لا تتناقض مع القرآن فتمكنت بذلك حركة الإصلاح الإسلامية من أخذ جميع مكاسب العلوم دون تنازل عن تقاليدھا الدينية³، إذ أن هذه الزيارة تركت أثرها الواسع نظرا لمكانة الشيخ وللإعلام، الذي رافقها، ولعدد الحضور لدرس والمسامرات، وتغطية مجلة المنار لها ونشر تفسير سورة العصر، وبعض كتب الشيخ الأخرى، ثم وفاته المفاجئة، وقد عرفنا، كما هاجم الطرق المبتدعة والجهل، عندما زار قسنطينة فكانت زيارته هذه تعتبر فحا منصوبا للبعض وامتحانا للآخرين، ويمكننا القول أن مدرسة الشيخ محمد عبده قد أثمرت ثمرتها بين الحريين، وبالذات على يد جمعية علماء المسلمين الجزائريين ومن ابرز دعائها ابن باديس والإبراهيمي⁴

¹ زوليخة بوقرة: المرجع السابق ، ص 113-114.

² سامية مقدم، هادية حماد: المرجع السابق ، ص 52.

³ عبد الكريم بوصفصاف: جمعية علماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية 1931-1945، عالم المعرفة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 55، 56

⁴ بشير الإبراهيمي :ولد في سنة 1306هـ/ 1889م، في قرية رأس الوادي في الشرق الجزائري،نشأ في بيت عريق في سن السابعة حفظ القرآن على يد عمه وواصل رحلاته إلى المدينة المنورة وهناك أتم دراسته العليا ومن الأعضاء المؤسسين لجمعية علماء المسلمين ، ومن بين مؤلفاته.(شعب الإيمان ، أسرار الضمائر العربية)،توفي عام 1965م،للمزيد ينظر : نبيل احمد بلاسي:الاتحاد العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر ،الهيئة لمصرية العامة للكتاب،مصر،1990،ص ص 121-127

والطبيب العقبي¹، كما أن هذه الزيارة عمقت أفكار الإصلاح بصورة مباشرة في نفوس وعقول الجزائريين²، وصاروا أكثر إيمانا و قناعة بضرورة العمل من أجل تجسيد هذه الأفكار الإصلاحية لتكون نقطة انبعاث وانطلاق الأمة من جديد في طريق العزة والوحدة والمجد، ومما تجدر الإشارة إليه أن أفكار الشيخ قد انتشرت في الأوساط الفكرية والإصلاحية بصورة مذهلة، فكان للشيخ الأثر العميق في نفوس الجزائريين ما لم يكن لغيره من العلماء المصلحين المشرقين وتأثيره هذا لم يلمس نخبة المثقفة فقط، بل تعدى ذلك لعامة الناس³، كما يمكن الإشارة أيضا أن تأثيرات أفكار محمد عبده الإصلاحية وسرعة انتشارها لم يكن في الجزائر فقط، بل تعدى ذلك إلى المغرب العربي⁴، كما ذكر رابح لونيسي أن أثر هذه الزيارة كان محدودا على بعض رجالها المحددين لأنه لم يخاطب الجمهور، بل اكتفى بقلائه مع القليل من النخبة وهؤلاء هم الذين نقلوا أفكاره⁵، كما ساهمت هذه الزيارة في إرساء دعائم الإصلاح في الجزائر، من خلال بث عنصر التجديد والإقلاع عن التقليد المقيت والخمول ونبذ الطريقة التقليدية التي وفرت بعض المناخ المناسب لبسط هيمنة المحتل على البلاد والعباد وبذل أسباب النهضة، وبالارتكاز على العقائد التي تلوّنت بالخرافة والاستغاثة بالموتى من أجل تحقيق التفوق وجل المصالح وترك الأسباب الحقيقية الفعلية والواقعية للنهوض بالأمة الجزائرية، التي سلبت منها سيدها وحريتها، وقد ظهرت تجليات العلاقة التأثيرية – والتأثرية بين الفكر الإصلاحي التجديدي لمحمد عبده وبين الرعيل الإصلاحي الأول في

¹ الطبيب العقبي: ولد في بلدة سيدي عقبة بولاية بسكرة عام 1889، ينتهي نسبه إلى قبيلة أولاد عبد الرحمان الاورسية تلقى العلم في الحرم النبوي الشريف عاد إلى الجزائر عام 1920م، وكان من الأعضاء المؤسسين لجمعية علماء المسلمين، كان يتردد على الأماكن العامة لدعوة إلى الله، إضافة إلى نشاطه الصحفي للمزيد ينظر: محمد هشام بلقاضي: معجم رجال الدين والإصلاح في الجزائر، صدر عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2011، ص ص 73، 74 وللمزيد أيضا ينظر: أحمد مريوش: الشيخ

الطبيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة، الجزائر، 2006، ص 356

² أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص 595.

³ سليمان بن رابح: المرجع السابق، ص 108.

⁴ Ali Merad : **Le Réformisme Musulman en Algérie de 1925 à 1940**, Essai d'histoire Religieuse Et Sociale, Edition ELHIKMA, Algérie, 1999, p33 .

⁵ رابح لونيسي: التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-1954)، ط 1، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2009، ص 90.

ميلاد حركة الأمير خالد الإصلاحية ذات الأبعاد الإسلامية السياسية المرنّة¹، حيث مثل هؤلاء العلماء الذين تحمسوا لأفكار الشيخ عبده والنخبة الرائدة لحركة التجديد الإسلامي في الجزائر، التي أخذت على عاتقها تغيير المجتمع الجزائري ونهوض به ومحاولة تحريره من القيود المادية والمعنوية، التي كانت تكبله وتعوقه عن الحركة والتطور، وقد مثلوا بجهودهم اللبنة الأولى لنهضة الإصلاحية في الجزائر، التي قامت على إصلاح العقيدة الدينية ودعوة الشعب إلى المحافظة على مقومات وتوجيه أنظاره إلى الأخذ بأسباب العلم والمعرفة²، لكن هناك من نظر ببرودة إلى الآثار التي خلفتها هذه الزيارة إذ ذكر جوليان سنة 1904م؛ أي بعد عام واحد من الزيارة لم يثر مرور محمد عبده انتباها خاصا، إذ أن مفتي القاهرة تحدث أمام جمع صغير من المستمعين بمسجد متواضع بحي بلكور، ولم يخطر ببال أحد أن ذلك العالم المفسر كان باعنا للنهضة السياسية والدينية والثقافة الإسلامية، ماعدا في قسنطينة حيث تفتحت بعض الأفكار النيرة إلى تأثيرات الشرق³، غير أن رأي جوليان يعتبر شاذا بين الآراء الأخرى التي أكدت على الآثار العلمية لهذه الزيارة، ولعل جوليان يقصد تأثير على عموم المجتمع، لكن هذا التأثير لا يأتي إلا بعد التأثير على النخبة المثقفة، وهنا كان وقع الزيارة بارزا على نفوس المثقفين الجزائريين الذين أصبحوا يعملون على استنباط البعد الحقيقي للأخذ بهذه الفكرة الإصلاحية الحديثة، ذلك لأنهم كانوا يشعرون بأن الإسلام في الجزائر أصبح يعيش بعيدا عن كل تأثير جديد⁴، حيث يرى المهتمين بالصحافة أيضا أن الزيارة أثرت على مصير الصحافة وتطورها في الجزائر، مما جعل بعض الصحفيين الجزائريين يقومون بإصدار الصحف والجرائد التي تسير في ركاب الفكر العبدوي، وجسدت مدى تعلق الجزائريين بأفكاره ودعوته الإصلاحية، ومن بين تلك الجرائد نجد جريدة ذو الفقار الصادرة في 1913م، التي اعتبر مؤسسها عمر راسم الشيخ محمد عبده مديرا روحيا لها، وقد جاء

¹ منير صغيري: المرجع السابق، ص 273.

² زوليخة بوقرة : المرجع السابق، ص 114.

³ شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير، تر: سليم منجي وآخرون، ط2، دار التونسية لنشر، تونس، 1976، ص125.

⁴ عبد الكريم بوصفصاف: جمعية علماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص55.

في عددها الأول : « ذو الفقار جريدة إصلاحية عبودية، وإنها لا تخرج عن الطريقة التي خطها رجال الإصلاح المخلصين¹ .»، كما كانت هناك جريدة الحق الوهراني، التي صدرت بمدينة وهران وحررت في أول الأمر باللغة الفرنسية وبداية من عددها الواحد والثلاثين، أضافت صفحتان بالعربية، وهذه الصحيفة ألحقت عنوانها الرئيسي بـ " الفتى المصري "، واعتبرت هي الأخرى محمد عبده مديرا روحيا لها، والمحلل لهذه الجريدة الوهرانية يبدو جليا أن الأراء التي أعمدها وأطروحاتها كانت تدافع عن حقوق المسلمين الجزائريين².

وجريدة المغرب (1903 - 1904م)، أيضا كانت تنشر آراء عبده عن الجامعة الإسلامية، حيث كانت هذه الأخيرة محل تقريظ من الشيخ محمد عبده عند زيارته للجزائر، حيث قال فيها : « وهي على قبح ورقها، وسوء طبعها نافعة للجزائريين المحرومين من الصحف الوطنية العربية .. فتمنى لها دوام القصد ورواج في تلك البلاد. »، لكن هذه الصحيفة توقفت بعد عام من صدورها³.

أما بعد وفاة الشيخ محمد عبده سنة 1904م، سنة بعد هذه الزيارة، فإن تأثيره بالجزائر قد زاد، حيث كان لهذه الزيارة الأثر البالغ على الحركة الفكرية والأدبية فيها، وكان الأثر كذلك على نفوس الجزائريين، وفي مختلف وجوه حياتهم الإصلاحية والفكرية⁴، إذ يظهر هذا التأثير جليا خلال الثلاثينات، ذلك من خلال تأسيس الشيخ عبد الحميد بن باديس والإبراهيمي للحركة الإصلاحية والتمثلة في جمعية علماء المسلمين⁵، فقد وصف أحد الجزائريين الأثر الذي أحدثه وفاته بالجزائر بقوله : « حتى كاد يقع لبعض الجزائريين ما وقع لسيدنا عمر ابن الخطاب في موت خير الأنام، حيث قال : « من قال منكم مات محمد صل الله عليه وسلم

¹ محمد ناصر: المرجع السابق، ص 40.

² إبراهيم مهدي: "الصراع حول الهوية والانتماء العربي الإسلامي من خلال الصحافة الجزائرية جريدة الحق الوهراني نموذجا 1911-1912"، مجلة عصور، عدد 6-7، جوان، ديسمبر 2005، ص 10.

³ محمد ناصر : المرجع نفسه، ص 26

⁴ سعيد بوخاوش : مقاومة التيار الإصلاحي في الجزائر لسياسية الفرنسية ودوره في الحفاظ على الهوية العربية (1900-

1954)، دار تفتيلت لطباعة ونشر، الجزائر، 2013، ص 25، 26

⁵ أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، ج2، ص 386.

أضرب عنقه¹. «، وإذا ربطنا هذه الزيارة بتأثيرها على الوعي الوطني الجزائري وبلورة تصور المجتمع الجديد لدى النخبة، فالظاهر أن الشيخ عبده كان سببا في إخراج النخبة الجزائرية بأصنافها من حالة اليأس والانكفاء على الذات وتوجيههم نحو فكرة مركزية تتمثل في إمكانية الدخول في الحداثة بواسطة الإسلام، ومحمد عبده عند زيارته هذه صرح بوجود نوع من التدين المتمزمت، وما دام الاستعمار متحالف مع الانحراف الديني بوجهيه الوظيفي والطرفي لتحذير المجتمع الجزائري، فإن دور الإصلاح هو تفعيل الدين ليمارس دوره، وسوف تظهر نتيجة ذلك غداة الحرب العالمية الأولى في توجه النخبة المثقفة الجزائرية نحو الإسلام من أجل تجديده لكي يتمشى مع روح العصر². »

أما عن ردود الفعل عن هذه الزيارة فقد كانت متباينة، فكان الجزائريون يعتقدون أن الشيخ عبده مرسل من طرف السلطان العثماني للإطلاع على أحوال المغرب الإسلامي، وتعددت حوله أصداء إعجاب الجزائريين به مع التساؤل والتشكيك في خلفياتها، بينما يرجح آخرون أن محمد عبده كان يهدف إلى الاطلاع بنفسه على أحوال الإسلام والمسلمين في الجزائر المستعمرة منذ 1830م، والتعرف على علمائها ودعوتهم للنهضة العربية ومسايرتها³.

ونستنتج من ذلك أن الجزائر قد عرفت في بداية القرن 20م تحولات على الصعيد الثقافي، التي كانت دافع لليقظة الفكرية خاصة بعد الأزمة العميقة، التي عرفها المشهد الثقافي الجزائري، والتي مست النظام التربوي والديني، وتغييره بنظام تربوي استعماري قائما على التجهيل، حيث التجأ المثقفون الجزائريون إلى ممارسة عدة نشاطات اجتماعية وثقافية بهدف المعارضة والتصدي لقوانين السلطات الاستعمارية، وكان ذلك عن طريق عودة علماء الذين في المهجر إصدارهم للصحف والنوادي والجمعيات الثقافية، التي تهدف إلى نشر التعليم

¹ رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده (1266-1363هـ/1848-1905م)، ج3، ط2، دار الفضيلة لنشر

والتوزيع، القاهرة، 2006، ص 297، 298

² الطاهر عمري: المرجع السابق، ص 69، 70

³ سليم أوفة: الحراك النهضوي في مدينة الجزائر خلال القرن 20م (1900-1914)، شهادة لنيل الماجستير في التاريخ

الحديث والمعاصر، المدرسة العليا للأساتذة الجزائر، 2013-2014، ص 85.

والدعوة إلى الإسلام الصحيح، كما ظهرت فئة من العلماء و المثقفين (النخبة والمحافظين)، كما تأثرت هذه الفئة بالحركات الإصلاحية في المشرق، التي قادها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ونخبة من المصلحين، الذين كان لهم بزيارتهم إلى الجزائر الأثر الهام على الإسلام والمسلمين في الجزائر وكان من بينهم الشيخ الإمام محمد عبده.

إن زيارة الشيخ محمد عبده هذه الشخصية الإسلامية والإصلاحية إلى الجزائر في 1903م، رغم الصعوبات التي واجهته خلال هذه الزيارة إلا أنه استطاع في الأخير زيارتها، وكان ذلك في عهد الجنرال " شارل جونار "، الذي سمحت له ولمجلة المنار بالدخول إلى الجزائر، والتقاؤه بعلمائها وإطلاعه على أحوال المسلمين وإرشادهم، حيث وجد له في الجزائر حزب إصلاحي ينتمي اليه، كما قام بإلقاء الدروس فيها ونصح الجزائريين بالجد في العمل والجد في تحصيل العلم، وترك السياسة لأنه كان يرى : « أنه ما دخلت السياسة في عمل إلا أفسدته. »، وعدم التعرض للحكومة الفرنسية، كما قام بزيارة العديد من الأماكن، كما أنه أراد زيارة مدينة تلمسان، لكن الظروف حالت دون ذلك، وقام بزيارة مدينة الجزائر وقسنطينة فقط، كما ساهمت هذه الزيارة في توطيد الصلات وتمتين العلاقات والروابط بين الجزائر وغيرها من الأقطار العربية الإسلامية، حيث ساهم في إحياء مجد هذه الأمة وشعورها بالاعتزاز بنفسها وبعث الأمل في شعبها والرغبة في التحرر من نير الاحتلال. إذ نجد أن هناك من يذهب الى التأريخ للحركة الإصلاحية في الجزائر منذ زيارة الشيخ محمد عبده للعاصمة في 1903م، لكن بعد مدة من الزمن من هذه الزيارة أخذت أفكاره في الشيوع داخل الجزائر، ذلك من خلال إصدار الصحف، وكان التأثير الكبير والواضح من هذه الزيارة خلال الثلاثينات من القرن 20م عند الشيخ عبد الحميد بن باديس والإبراهيمي والعقبي وغيرهم من الإصلاحيين الذين مشوا على نهج الشيخ محمد عبده، ذلك من خلال تأسيسهم لحزب إصلاحي متمثل في " جمعية علماء المسلمين الجزائريين "، وبعد زيارته للجزائر التي أقام بها مدة عشرة أيام، قام بزيارة أخرى للبلاد التونسية في نفس السنة.

الفصل الثاني

زيارة الشيخ محمد عبده لتونس 1903

أولاً: الوضع الثقافي قبيل وخلال زيارة الشيخ محمد عبده لتونس.

ثانياً: مسار زيارة الشيخ محمد عبده لتونس.

ثالثاً: انعكاسات الزيارة الشيخ محمد عبده على تونس.

أولا - الوضع الثقافي قبيل وخلال زيارة محمد عبده لتونس :

عند دخول فرنسا لتونس وفرض حمايتها عليها خلال القرن 19م، حاولت طمس الهوية الوطنية من خلال محاربة المقومات الشخصية لشعب التونسي وذلك من خلال محاربة اللغة العربية والدين الإسلامي، وإبعادهم عن حضارتهم العربية الإسلامية وإحلال محلها الثقافة الغربية، وذلك من خلال نشر اللغة الفرنسية وتعليمها لتونسيين وإدخالها في كل ما يخصهم بما فيها الإدارة والمؤسسات التعليمية، ولكن مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تغيرت هذه الأوضاع وحولها التونسيين إلى صالحهم وذلك من خلال إحياء الروح الوطنية الإصلاحية لتضافر مجموعة من العوامل من بينها إصلاحات خير الدين¹ ومحمود قبادو² وإنشاء العديد من الجمعيات والصحف، وإصلاح التعليم الزيتوني.

إن حركة التجديد الفعلية التي ظهرت في نهاية القرن 19م، وبداية القرن 20م، إنما تعود في أساسها إلى تلك النهضة الإصلاحية التي عارفتها تونس في عهد محمود قبادو وخير الدين باشا فكل التغيرات التي جاءت فيما بعد إنما بنيت على تلك الإصلاحات، فمحمود قبادو رأى إن الانحطاط الذي آل إليه المسلمون يعود إلى أنهم تركوا علومهم، وللخروج من

¹ خير الدين باشا التونسي: ولد سنة 1820 من أصل من قبيلة أباطة الشركسية من بلاد القوقاز، نشأ في الأستانة ومنها انتقل إلى تونس 1837م، تحصل على رتبة كولونيل والتحق بوظيفة معين للأمير أحمد باشا باي وفي سنة 1857م، أسندت إليه رئاسة المجلس الأكبر المنتخب، من أهم مؤلفاته أقوام المسالك في معرفة أحوال الممالك" توفي سنة 1890م، للمزيد ينظر: محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص ص 271، 278.

² محمود قبادو: ولد بتونس سنة 1812، وهاجر إلى طرابلس الغرب وقضى بها سنوات عديدة، دخل خلالها الطريقة المدنية، وعاد إلى مسقط رأسه ليدرس هناك خصوصا في المدرسة الحربية كما قصد اسطنبول حيث تعرف على شيخ الإسلام عارف باي، وكان أول تونسي اجتهد في إقناع أهل ديانته بقبول العلوم الحديثة، للمزيد ينظر: فريد حاجي: عرض لنظرة ابن العنابي وخير الدين التونسي للإصلاح-مسعى والمآل-، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، 2001، 2000، ص 11

هذه الوضعية يتوجب عليهم اقتباس علوم الأوربية، ولقيت دعوة كل من خير الدين و قبادو استجابة من بعض المصلحين¹

أمثال الشيخ بيرم وسالم بوحاجب². الذي سيكون له دور عظيم في حركة الإصلاح إبان الحملة الفرنسية على تونس، ويتضح الدور الذي قام به خير الدين باشا عام في الإصلاح، عندما أقدم على إنشاء المدرسة الصادقية 1875م، وهي مؤسسة التي اهتمت بالعلوم الدينية واللغة العربية وأدبها، واهتمت كذلك بالعلوم العقلية مثل الرياضيات والعلوم الطبيعية، التي كانت تدرس باللغة الفرنسية إضافة إلى دراسة اللغات الأجنبية مثل الفرنسية والتركية، وكانت الدراسة بها تمتد لمدة سبع سنوات ولذلك تكون مدرسة الصادقية هي أول مدرسة عربية حاكت النموذج الأوربي، وكانت نتائج إصلاحات خير الدين باشا إن تخرج جيل جديد ذا ثقافة مزدوجة، بعد إن كان المتعلمون صنفا واحد وهم المتخرجون من الزيتونة ومن الرواد الصادقية أمثال البشير صفر وعلي بوشوشة³ وغيرهم كثير ممن حملوا لواء التجديد والإصلاح مع مطلع القرن 20م⁴، كما كانت الحالة الفكرية في تونس أثناء هذه الزيارة مضطربة اشد الاضطراب، واستمعت الأذان والتفت الأذهان إلى روح التجديد الديني وطريقة استغلالها في الأعمال السياسية وكانت محور حركته وهي التي أبعده عن البحث في العقائد المجردة، ومناقشتها، والدعوة إلى الإصلاح الديني والتجديد الفكري يقوم بها جماعة من

¹ رابح فلاحي : جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر 1908-1954، رسالة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة منتوري ، قسنطينة، 2007، 2008، ص 38، 39.

² سالم بوحاجب: (1244-1342هـ / 1828-1924م) وهو سالم بن عمر بوحاجب البنلي ،من ذرية الشيخ شبوب دفين الساحل، فهو فقيه محقق ولغوي أديب شاع، وبعد تخرجه درس متطوعا ثم اجتاز بنجاح مناصرة التدريس من الطبقة الثانية 1859، وانتخبه شيخه محمود قبادو لتوليته مشيخة المدرسة المرجانية ،تولى الإفتاء في تونس 1905 ، ومن مؤلفاته نجد:ديون الشعر، رحلة، شرح على ألفية ابن عاصم في الأصول، للمزيد ينظر: محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، ص ص 77-81.

³ علي بوشوشة : ولد سنة 1859م، ينحدر من عائلة ماجدة من بنزرت، كانت هاجرت إليها من مدينة جيجل الجزائرية منذ عدة أحقاب، كما بث فيه أبويه حب الأرض والأشغال الفلاحية، وقد اظهر حبه لتعلم اللغات الثلاث :الفرنسية، التركية والعربية، أسس سنة1888 جريدة الحاضرة رفقة مجموعة من الشباب كان أيضا من أنشط المسيرين وأشدهم مثابرة عند تأسيس الجمعية الخلدونية سنة 1869م، توفي سنة 1917، وللمزيد ينظر، الصادق الزمارلي:المرجع السابق، ص 133-137.

⁴ رابح فلاحي : المرجع السابق ، ص 39، 40.

الشباب المتعلم الذي يعمل في الحكومة وهذه صلة حملت هؤلاء الشبان على الاعتدال في آراءهم السياسية¹.

إضافة إلى العوامل التي ذكرناها قام التعليم أيضا بدور هام في نشأة الوعي الوطني لدى التونسيين، وذلك من خلال جامع الزيتونة الذي يعتبر الحصن الحصين لثقافة العربية الإسلامية، أدى رسالته الدينية والحضارية والعلمية، ولا يمكن اعتباره مسجدا لصلاة للعبادة فحسب بل مركز لنشر المعرفة والثقافة، إضافة إلى دوره البارز في الدفاع عن الدين والوطن والحفاظ على الهوية العربية الإسلامية وحماية الشعب التونسي من النفوذ الأجنبي، وبهذا أصبح جامع الزيتونة احد أقدم المعاهد التعليمية العربية، الذي حمل لواء الثقافة القومية العربية ما لا يقل عن اثني عشر قرنا ونصف، لذلك ظل إصلاح التعليم الزيتوني وتنظيم هيكله ونشره لمزاحمة التعليم العمومي الفرنسي من ابرز مشاغل الشيخ محمد الطاهر وقد لاقى في ذلك من السلطة الاستعمارية سدودا وعوائق لصرفه عن تنفيذ برامج الإصلاحية باعتبارها تتصدى لسياسة المستعمر في أهدافها البعيدة للإذابة والإدماج والفرنسة²، كما كان أيضا للجمعيات والصحف دور في تطور حركة الإصلاح ومن بين تلك الجمعيات نجد الجمعية الخلدونية التي تأسست عام 1896م، بدعوة من البشير صفر حيث كان لدورها الثقافي بعد سياسي ساهم في إذكاء الروح الوطنية لدى الشباب التونسي، الذي برز على الساحة من خلال تأثره بالدروس والمحاضرات التي ساهمت في بلورة وعيه وإصلاح أوضاعه³، كما ساهمت دروسها في إحداث استفاقة تعرف التونسيون من خلالها على فلسفة العصر المستقلة، ومبادئها المتماثلة في الحرية والمساواة، والحق في تقرير المصير وهذا ما كان يخشاه المستعمر لذلك كنفوا طرق التضييق عليها حتى تراجع دورها، ولذلك لجأت النخبة

¹ صالح خرفي : عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص 138.

² بالقاسم الغالي : شيخ جامع الزيتونة الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره ، ط1 ، دار ابن الحزم، بيروت، 1996، ص 14 .

³ محمد الهادي الشريف : تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تع: محمد الشاوش ومحمد عجينة ، ط3، دار سراس لنشر، تونس، 1993، ص 113.

التونسية المثقفة إلى بعث جمعية بديلة لمواجهة العدو كانت تتمثل في جمعية قداماء الصادقية¹ التي تأسست في 23 ديسمبر 1905 بفضل علي باش حانبة² وكانت هذه الجمعية إلى جانب غايتها التعاونية ترمي إلى "نشر وتبسيط مبادئ العلوم العصرية والضرورية في الأوساط التونسية" وتمثل نشاطها في تنظيم محاضرات أسبوعية متبوعة بمناقشات بلاغ عددها 27 في سنة واحد من أبريل 1906 إلى أبريل 1907، وكانت فرصة لبروز مواهب ثقافية كثيرة³. إلى جانب الجمعيات ودورها في بلورة الوعي نجد الصحف التي كان لها أيضا الدور الهام في تطور الحركة الإصلاحية في تونس أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين منها جريدة الحاضرة التي تأسست سنة 1888م، لصاحبها علي بوشوشة وهي جريدة أسبوعية سياسية أدبية اتجاهاها إصلاحي، واستمرت لمدة 23 سنة، و3 أشهر ثم توقفت مع بداية الحرب العالمية الأولى تلتها جريدة "الزهرة" التي ظهرت 1890م، لصاحبها عبد الرحمان الصنادلي ولم تتوقف إلا مع الاستقلال تونس، وما كادت تهل سنة 1895م، حتى اصدر الشيخ عبد العزيز الثعالبي "سبيل الرشاد" التي كانت راقية الأسلوب، إسلامية المنهج. وخلال الفترة الممتدة ما بين 1903-1912، توالى إصدار الصحف بتونس بكثرة فائقة حتى بلاغ عددها 54 صحيفة أحصاها العلامة الطرازي في كتابه تاريخ الصحافة العربية ولم يعمر منها بعد الحرب العالمية الأولى سوى القليل⁴.

¹ حسبية طيبوني، نور الهدى زوية : تطور الحركة الوطنية التونسية ودورها في مواجهة الحماية الفرنسية 1904-1919، مذكرة لنيل شهادة ماستر في تخصص الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي، جامعة خميس مليانة، 2014-2015، ص 24.

² علي باش حانبة : بن مصطفى بن علي الشريف، من أصل تركي ولد بتونس درس بالزيتونة وواصل دراسته بباريس فجمع بين الأصالة العربية وتكوين الأوربي رجع إلى تونس وعمل محاميا ، وتوجها إلى اسطنبول وعين وزيرا لخارجيتها، ثم عمل مستشارا لصدارة العظمى بقي على صلة بالحركة الإسلامية، للمزيد ينظر .محمود شاكر : تاريخ الإسلام-تاريخ المعاصر بلاد المغرب، ج18، ط2، المكتب الإسلامي ، بيروت 1996، ص 130.

³ شارل أندري جوليان : المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، تع: محمد مزالي، البشير بن سلامة، د ط، الشركة التونسية لتوزيع، تونس 1985، ص 108.

⁴ فتحية عبد النور: الروابط الثقافية بين الجزائر وتونس ما بين 1860-1954، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ العربي الحديث والمعاصر، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة الجزائر، 2013-2014، ص 117.

ثانيا - مسار زيارة الشيخ محمد عبده لتونس:

لقد قام الشيخ محمد عبده بزيارة له لتونس ولأول مرة في 10 ديسمبر 1884 إلى غاية 04 جانفي 1885، لكن لا احد يعرف أسباب هذه الزيارة لكن هناك من رأى أنها من اجل إنشاء فرع للعروة الوثقى من المغاربة أمثال الأمير عبد القادر ومحمد السنوسي حيث قام هذا الأخير بتنظيم نواة للعروة الوثقى من العلماء الزيتونيين وهنا يمكن القول أن زيارة الشيخ محمد عبده الأولى لتونس كانت من اجل الاتصال بالفرع التونسي للعروة الوثقى التي لم يكن يعرف عدد علماء التونسيين فيها، كما وجد محمد عبده إن الصحافة التونسية التي أيدت حركته وناصرت منهجه الإصلاحي ومتأثرة في ذلك بمجلة المنار على عكس الصحف المصرية التي كانت أكثر مشاغبة له ومعركة لمشاريعه الإصلاحية، فأيقن الشيخ عبده أن أخصب ارض لبذور دعونه هي البلاد التونسية خاصة وقد رأى ما كان يصبو إليه في مصر تحقق في تونس، وهو تأسيس الخلدونية¹ فشوقه ذلك إلى زيارة تونس²، وأوحى للمنار بأن تسلك سياسة المجاملة مع الدولة الفرنسية، حتى لا تحجزها من الدخول لتونس ولا تمنع الأستاذ من زيارته لها، وكانت هذه الزيارة الثانية التي يقوم بها الأستاذ الإمام محمد عبده إلى تونس³.

وفي سنة 1903 أي بعد عشرين سنة من الزيارة الأولى رحل الإمام إلى تونس رحلة ثانية⁴، بعد أن أقام عشرة أيام في الجزائر وصل إلى العاصمة تونس عن طريق سكة الحديد مساء يوم الأربعاء 09 سبتمبر 1903 إلى غاية 24 سبتمبر، حيث كانت هذه الزيارة محسوبة

¹ جمعية الخلدونية: أسست في 22 سبتمبر 1896 بمساندة المقيم العام روني ميبى، وتستمد تسميتها من اسم العلامة ابن خلدون وكانت تهدف هذه الجمعية إلى تمكين المسلمين من الاطلاع على العلوم العصرية وتوسيع أفاقهم الفكرية وتعترم بإشراف رئيسها الأول محمد الاصرم، وللمزيد ينظر: علي محجوبي: جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934)، تع: عبد الحميد الشابي، ط1، بيت الحكمة، تونس، 1999، ص130.

² فتحي حسن ملكاوي: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر رؤية معرفية ومنهجية، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، 2011، ص 65.

³ رشيد رضا: الأستاذ الإمام محمد عبده، ج1، المصدر السابق، ص ص 874-870.

⁴ صالح خرفي: المرجع السابق، ص141.

الخطوات، معدودة الأنفاس من طرف السلطات الفرنسية، ولم تعطى له تأشيرة الدخول إلى تونس من القنصلية الفرنسية في القاهرة إلا بعد أخذ ورد وتعهد بخطة الرحلة حيث استقبله كل من الإمام الحنفي أحمد بن خوجة، وقاضي باردو وغيرهما من العلماء تونس بحفاوة على عكس ما كان يتوقعه قبل المجيء إلى تونس فقد أكرموا وفادته¹، حيث أقام بالمرسى عند خليل بوحاجب² وزوجته الأميرة نازلي³ المصرية وكان هذا سببا في نزوله ضيفا بالمرسى. والتقى عبده على انفراد أو في أثناء مآدب الضيافة بعدد كبير من الشبان التونسيين منهم⁴: البشير صفر وعبد الجليل الزاوش⁵، وعلي بوشوشة وعمار بكوش ومن بين العلماء التونسيين الذين قابلهم نجد: سالم بوحاجب محمد النخلي القيرواني⁶ وصالح الشريف⁷ ومحمد الطاهر

¹ رابح فلاحي : المرجع السابق ، ص 43 ، ينظر للملحق رقم 05.

² خليل بوحاجب: ابن الشيخ سالم بن عمر بوحاجب ولد سنة 1863 بمسبح الجبل المنار من الضواحي مدينة تونس الشمالية، أنهى دراسته بالصادقية سنة 1879 فسافر إلى فرنسا لمواصلة دراسته العليا وانخرط في سلك الهيئة التعليمية عند تأسيس إدارة العلوم والمعارف سنة 1883 ثم انخرط في السلك الإداري بقسم الترجمة وعين في مجلس الأحكام الجنائية بصفة مترجم خاص إلى سنة 1896، ثم رئيسا للمجلس الجنائي، وفي سنة 1926م تقلد منصب الوزارة الكبرى في عهد محمد الحبيب باي آخر أيام ملكه، توفي سنة 1939م.

³ الأميرة نازلي: ولدت سنة 1853 وهي بنت مصطفى فاضل باشا الابن الأكبر لإبراهيم باشا بن محمد علي باشا (نازلي فاضل أو الأميرة نازلي أو نازلي هانم) كل هذه الأسماء تلقب بها الأميرة نازلي إحدى أميرات مصر من أسرة محمد علي باشا، وهي وريثة البيت المنافس لبيت الخديوي إسماعيل من فروع الأسرة الخديوية (المصرية) ومركزها لأستانة تزوجت أحد وزراء الدولة العثمانية هو خليل باشا شريف وكان سفيرا في كثير من البلدان فساعدوا سفرها معه على التعرف برجال السياسة .

⁴ الموسوعة التونسية المفتوحة: "محمد عبده في تونس"، مقال الكتروني، الموقع: <http://www.mawsouaa.nt/wiki>، دص.

⁵ عبد الجليل الزاوش : ولد بمدينة تونس في أسرة ثرية سنة 1873م، ودرس بمعهد سان شارل ثم الحقوق بباريس ، عاد إلى تونس سنة 1900 وأسس مكتبا للمحاسبة ، وأهتم بالصحافة وكتب العديد من المقالات السياسية والاقتصادية ، وكان عضوا في مجلس وعرضا مستشارا في جريدة "الديبش التونسية" سنة 1934 رئيسا لبلدية تونس العاصمة، للمزيد ينظر: صادق الزمارلي : المرجع السابق، ص 253.

⁶ محمد النخلي القيرواني: ولد بمدينة القيروان (تونس) سنة 1869م ، احد أعلام الزيتونة التحق بزيوتنة سنة 1304هـ حيث درس على الشيخ سالم بوحاجب ومحمود بن محمود ومحمد النجار وكان يقول الشعر ويجيده وتولى التدريس من طبقة الأولى توفي بتونس سنة 1924م، للمزيد ينظر :محمد الصالح الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 65.

⁷ صالح الشريف: ينتمي إلى عائلة من الأشراف الادارسة انتقلت في منتصف القرن الثامن عشر من بجاية إلى تونس، ولد بتونس سنة 1869 حفظ القرآن على يد المؤدب عبد الرحمان المقراني ثم انخرط في سلك طلبة الجامعة الزيتونية سنة 1882،

بن عاشور¹ ولقد تمت لقاءات عديدة بين هذا الأخير والشيخ محمد عبده في المحافل العامة والخاصة. فحضر بصحبته المآدب التي أقيمت على شرفه من قبل الأمراء والوزراء وقد حضرها حتى المخالفون لمحمد عبده في منهجه الإصلاحية من باب المجاملة حيث كان ابن عاشور مهتماً بالشيخ عبده اهتماماً خاصاً فما من مائدة إلا وحرر الشيخ بشأنها مذكرة اثبت فيها ما رآه وما سمعه ومن آراء الأستاذ الإمام الإصلاحية والعلمية، وفي يوم 10 سبتمبر أدى محمد عبده زيارة مجاملة إلى الكاتب العام للحكومة التونسية برنار روا ونائب المقيم العام الذي هياً للشيخ عبده استقبلاً لطيفاً، وفي 12 من نفس الشهر حضر دروساً بجامع الزيتونة و تآقت نفسه إلى نسخ بعض المخطوطات النادرة بغية تزيين مكتبة الأزهر بها²، وعقدت المجالس العلمية بين الإمام محمد عبده وبين النخبة التونسية وامتدت النقاشات بينهم بمناسبة وليمة الغداء على شرف محمد عبده التي حضرها يوم الأربعاء 16 سبتمبر 1903 بدار الشيخ محمد محسن الأكبر بتونس، وطلبوا منه أن يلقي محاضرة بالجمعية الخلدونية يوم الأحد 20 سبتمبر من نفس السنة وكان عنوان المحاضرة "العلم وطرق التعلم"³.

أما في محاضراته بالخلدونية لم يقدم أي تفسير بالمعنى المتداول باستثناء استشهاد بست آيات، أربع تعلّي من شأن العلم والعلماء، واثنان تتصلان بموضوع التوكل والسعي، ويتضح في هذا الثاني من محاضرة الخلدونية أن عبده أعاد بصورة مختصرة ما كان قد تناوله مطولاً في محاضراته في الجزائر أي انه أراد أن يؤكد أن الإيمان الصحيح قرين السعي والعمل وان الاحتجاج بالقدر للبقاء في البطالة والكسل خطأ في فهم التوكل والتعطيل لشرع الله. وما يعيننا في مقارنة مضمون المحاضرتين (محاضرة الخلدونية والمحاضرة الجزائرية) وهو الحرص على مواجهة حالة الرضا والتسليم التي جعلت الكثيرين يعتقدون أن سوء حالتهم من

¹ محمد الطاهر بن عاشور: هو والد محمد الفاضل بن عاشور من آل عاشور، من أشراف الأندلسيين ولد سنة 1879م، بناحية المرسى، والتحق بالجامع الزيتونة 1892م، درس على يد الشيخ سالم بوجاجب ومحمد النخلي، وفي سنة 1904 بدأ التدريس في المدرسة الصادقية، توفي عام 1973م، للمزيد ينظر: جمال محمود أحمد ابن حسان: "الأمام محمد الطاهر بن عاشور (سيرة ومواقف)"، مجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج5، العدد2، 2009، ص ص 58-74.

² الموسوعة التونسية المفتوحة: المرجع السابق، د ص.

³ بالقاسم الغالي: المرجع السابق، ص37.

قدر الله الذي لا مرد له. تلتقي المحاضرتان في اعتبار الفساد والشر غير موصولين¹ بمعنى الصحيح لتوكل إنما منشؤهما في نفوس الناس بما يحملونه من معتقدات مخطئة. لكن اللافت للنظر هو أن عبده راعى حال المخاطبين في كل من تونس والجزائر فقد كيف شرحه لسورة العصر وتناوله لمسؤولية الإنسان بما يناسب الوضع الاجتماعي والثقافي الخاص بالجزائر فاهتم أكثر بتعلم اللغة العربية وإتقانها وبطبيعة العلاقة بالآخر المختلف دينيا هذا في حين تناول نفس المقولة في السياق التونسي ضمن إطار المؤسسة التعليمية بما يحقق لها تحصيل الملكة والارتقاء فيها بالعلوم الأساسية²

كما لم يتطرق ولم يثر محمد عبده في زيارته هذه إلى النقاشات السياسية لما قدمه من نصائح عندما زار الجزائر وتتس والتي من بينها الجد في تحصيل العلم والكسب الحلال، وعدم الخوض والاشتغال في السياسة³، ويرى ابن عاشور الذي شهد مأدبة الغداء أن محمد عبده أبدى نقده للكتب الدراسية المقررة والمناهج المتبعة في المؤسسات التعليمية الإسلامي واصفا إياها بأنها بالية، وأنه من حسن حظ طلبة الزيتونيين إكمال تعليمهم بالخلدونية⁴، حيث نقل عنه تلميذه رشيد رضا بقوله: "إن التونسيين سبقونا لإصلاح التعليم، وما يجرون عليه في جامع الزيتونة خير مما عليه أهل الأزهر"⁵ وقد وصف الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور هذه زيارة، مبرزاً كرم الضيافة وحرارة الاستقبال التي لقيها الشيخ محمد عبده، كما أشار إلى المناقشات التي دارت بينه وبين مؤيديه ومنقديه، ثم قال: وكان أكثر الناس التفافاً حوله والتحاماً به مدة إقامته بتونس، هم رجال الخلدونية وجريدة الحاضرة والشيخ سالم بوحاجب وكانت معرفته به قديمة ورسائله معه غير منقطعة نذكر منها على سبيل المثال رسالته لشيخ عبده سنة 1899 تقرظاً له على مؤلفه الجليل (رسالة التوحيد) وأرسل الشيخ محمد النخلي

¹ أحمد النيفر : زيارة الأستاذ لإمام محمد عبده إلى تونس 1903، نشر في الفجر نيوز، 2010/07/16، د ص.

² نفسه ، د ص.

³ محمد رشيد رضا : مجلة المنار، المصدر السابق، ص 608.

⁴ الموسوعة التونسية المفتوحة : المرجع السابق، دص .

⁵ محمد العيد قدع ، عبد الرزاق هزبري: الجهود التعليمية لشيخين محمد الطاهر بن عاشور وعبد الحميد بن باديس دراسة مقارنة ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2013-2014، ص 21.

رسالة لم تقتصر على مدح الشيخ محمد عبده، وأرائه على تصنيفه رسالة التوحيد بل تجاوزت ذلك إلى نقد النزيه في خصوص التوكيد في القرآن الكريم. والشيخ محمد الطاهر بن عاشور وهو يومئذ شاب في الرابعة والعشرين، ويعد ابرز مدرسي الجامع شبابا وذكاء واسبقهم إلى أتباع أستاذه، كما كان ابن عاشور من المؤيدين لشيخ عبده في فتواه في لبس القبعة¹.

ثالثا - انعكاسات زيارة الشيخ محمد عبده على تونس:

لقد قام الإمام محمد عبده بزيارتين تاريخيتين لتونس الأولى كانت في 1884، والثانية كانت سنة 1903²، حيث ساهمت هذه الأخيرة في زرع بذور حركة فكرية وإصلاحية تهدف إلى إيجاد وعي سياسي واجتماعي، قوامها تخليص المجتمع من الاستبداد والركود والانغلاق على مفاهيم سلطوية متحجرة، ومقاومة البدع والخرافات والعودة بالمسلمين إلى الأسس التي انبثت عليها حياة أسلافهم ونبذ كل ما ليس له علاقة بالدين كالطرق الصوفية.

وقد أكد الشيخ محمد عبده عند زيارته الثانية لتونس أن الحركة الإصلاحية التونسية بالنسبة للحركة القائمة بالجزائر إثر زيارته لها أكثر تطورا وذلك من خلال تطور الحركة العلمية بتونس عن الجزائر. غير أن ما ينبغي ملاحظته هو أن الشيخ محمد عبده قد أسهم في تنمية الحركة الإصلاحية التونسية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين رغم انه لم يشارك في بعثها. وقد كانت جلة المنار المؤسسة سنة 1898م، تصل إلى تونس حيث يقرأها العديد من رجال الفكر وقد أولت هذه مجلة بعض الاهتمام بالمسائل التونسية ولاسيما منها التعليم. ولم يفتها بالمناسبة أن تنقل مقتطفات من جريدة الحاضرة، لذلك يمكن القول بوجود تعايش وتواصل بين التيارين الإصلاحيين التونسي والمصري، ولكن لا يصح أن نقول أن الأول تابعا لثاني أو نتاجا عنه³.

¹ فتحي حسن ملكاوي : المرجع السابق ، ص 65.

² إسماعيل الحسني: نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، ط 1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الولايات المتحدة الأمريكية ، 1995، ص 77.

³ علي محجوبي : جذور الحركة الوطنية التونسية 1904-1934، المرجع السابق ، ص 134

أما سنة 1903م قام مفتي الديار المصرية بزيارة ثانية لتونس والتي تعتبر حدثاً ثقافياً دينياً كبيراً في الأوساط التونسية، والتقى في تلك الزيارة مجموعة من العلماء ومن بينهم محمد الطاهر بن عاشور فتوطدت العلاقة بينهما، حيث سماه الإمام محمد عبده "بسفير الدعوة" في جامع الزيتونة، إذ وجدت بينهما صفات مشتركة أبرزها ميلهما إلى إصلاح التربوي والاجتماعي الذي صاغ ابن عاشور أهم ملامحه بعد ذلك في كتابه أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، كما توطدت بعد ذلك أيضاً العلاقة بينه وبين رشيد رضا وكتب ابن عاشور في مجلة المنار¹.

لم يكن تأثير محمد عبده مقتصر على الجزائر من بين أقطار المغرب العربي بل كان تأثيرها على تونس أكثر، كما يعتبر الشيخ محمد النخلي القيرواني والشيخ محمد الطاهر بن عاشور من أبرز ممثلي أرائه في الإصلاح. ولما توفي محمد عبده رثته صحافة تونس من بينها "الحاضرة" و"الصواب"² حيث هذه الأخيرة كتبت فيها الأستاذ الطاهر بن عاشور تعزية إلى الشيخ رشيد رضا يقول فيها: "عرفت الأستاذ الإمام معرفة شهود بتونس في 1321هـ/1903م، فعرفت من ملاقاته الأولى 1302هـ/1884م رجل عزم، الإرادة، الفكر، البلاغة والقول وشدة الفراسة وتكافؤ القوة العلمية والفكرية ... ويقابلني تمثال الأستاذ منزلي مرات واذكر كلماته وتفسيره مهما قرأت سورة في صلاتي" واقترح فيها على الأستاذ رشيد رضا أن يجمع آثار محمد عبده ويطبع جميع تأليفه ورسائله الأدبية والعمرانية، كما سأله عن أعداد جريدة العروة الوثقى في مصر لأنه لا يملك إلا عدداً منها ويود جمع بقية الأعداد، وطلب منهم أن يخبره هل كتب الشيخ محمد عبده شيئاً عن رحلته إلى الجزائر وتونس وغيرها من البلدان، وأرسل الشيخ محمد شاکر من صفاقس إلى الشيخ محمد رشيد رضا رسالة تعزية وصف فيها محمد عبده بالحكيم والمصلح وأنه هو الذي "زحف بجيش

¹ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : موقع ميديا بلوس ، www.media.plus.tn.com ، ص 04.

² عبد الحميد بن باديس : المرجع السابق ، ص ص 42 ، 44.

أقدامه على البدع والأوهام"، من الذين عرفهم الإمام عبده هم البشير صفر وشيخ سالم بوحاجب الذي كتب تقريرا برسالة التوحيد أرسله إلى محمد عبده 1317هـ / 1884¹.

فمن الوضع الاستعماري المرير ما اقترن به من واقع تونسي سيء مترد تبلور في نفوس النخبة التونسية عامة وبعض الشيوخ الزيتونة خاصة رؤية اجتهادية جديدة ونظرة إصلاحية لشؤون الحياة والتعليم والدين ومن بينهم الذين سبق ذكرهم سالم بوحاجب ومحمد الطاهر ابن عاشور وابنه محمد الفاضل الذين تجاوزوا مع الحركة الإصلاحية في بلاد المشرق، ذلك أنهم وجدوا في هاته الحركة الإصلاحية خير دعم لتونس في صون شخصيتها الإسلامية وحفظ أصالتها من سياسة الاستعمارية تهدف إلى مسحها وطمسها والقضاء عليها فهذا رسم الشيخ سالم بوحاجب الإطار الفكري العام لتجديد الروح الدينية وتخليصها مما علق بها من شوائب خلال عصور الانحطاط، كما كان للمحاضرة التي ألقاها محمد عبده في الجمعية الخلدونية التي كانت بعنوان "طرق التعليم" بليغ الأثر في نفوس التونسيين لما اقتضته دعوته من الجمع بين العلوم الدينية والعلوم العصرية في نظام تعليمي واحد بتسليط روح المنهج الثقافي الإسلامي على تلك العلوم العصرية التي كانت تطالب بروح أخرى فعزلها عن المنهج الإسلامي حسب ما يذكر الشيخ الفاضل، وبهذه الدعوة التوفيقية الإصلاحية أعجب الشيخ طاهر وتشبع وعلى هديه سار ابنه الشيخ محمد الفاضل بروحها ودعى إلى إدراك المنهج الدعوة الإسلامية . ولإعجاب الشيخ محمد طاهر بأفكار محمد عبده وتحمسه لمنحاه الإصلاحي اعتبر على حد قول ابنه : "مهتف دعوة المجددين وهدف أفكار رجعيين إذ اعتبروه الإمام نفسه سفير الدعوة بالجامعة الزيتونية" ويبدو إن هذا الاتجاه الإصلاحي والإحساس بالقيادة الفكرية ترجمت عنهما عبارته الواردة في مقدمة كتابته " أليس الصبح بقريب" يقول : « قد كان حد في حاد الآمال وأمل على ضميري من عام 1321هـ / 1903م لتفكير في طرق إصلاح تعليمنا النطاق ففقدت عزمي على تحرير كتاب في الدعوة إلى ذلك

¹ رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، المصدر السابق ، ص ص 294 ، 296.

وبين أسبابه¹. «، وقد كتب الثعالبي² في الصحف داعيا إلى الاستقلال والحرية وقد عطلتها السلطات الفرنسية كلها لجرأة محررها . يعتبر الثعالبي حول روح التحرر في لقرآن من علامات تأثره بفكر محمد عبده حيث عكف فيه على دراسة وضع المرأة في الشريعة الإسلامية³ وفي هذا يقول الثعالبي: فهذه المرأة التي لم تتعرف شيئا قد من الحياة، هل يمكنها أن تحسن التصرف ؟ وهل يمكنها أن تعرف أن تعرف أي شيء عن العالم الخارجي؟ وهكذا يدعوا الثعالبي إلى تحرير المرأة المسلمة ويرفض الانزواء وشرط انفراطها بصحبة احد المحارم ويحمل على منطلق للوكالة والوصاية القانونية التي يمارسها عليها الرجل مع وجوب الستر والإخفاء والحجب تقاديا للفتنة والشذوذ وسوء الآداب ويربط ذلك بالكشف عن الوجه وحسن تربيتها وإعدادها إذ يصرح حول هذا الموضوع قائلا : « لو كان التعليم الإجباري واقعا مكتسبا لتمتعت المرأة بالكامل حقوقها ولأدركت لا وجود لأي نص يفرض عليها ستر وجهها ولا لأي نص يحكم عليها بالانزواء في بيتها كأنها في سجن لعلمت أن من واجبها رعاية مصالحها ومصالح أبنائها والتفكير في مستقبلهم وتعليمهم وتربيتهم وأنه من الضروري أن تتمتع بحقها في احتلال مكانتها في البيت وأن تأخذ نصيبها من حقها⁴. »

كانت زيارة محمد عبده لتونس زيارة تأسيسية واستنهاضية بذر فيها بذور سرعان ما تفتحت رجالا ودعاة وأدباء قدوا حركة النهضة، وقد ضلت تونس خافقة القلب بحبه وتقديره وقد اهترت لمقدمته أندية العلم والأدب والإصلاح واقبل على الترحيب به واستضافته عظماء

¹ المختار بن احمد عمار: محمد الفاضل بن عاشور حياته وآثره الفكري، د ط، دار التونسية لنشر، تونس، 1985، ص12.
² عبد العزيز الثعالبي : ولد في مدينة تونس سنة 1874، وهو ابن إبراهيم بن عبد الرحمان الثعالبي الذي يكون له علاقة الشيخ عبد الرحمان الثعالبي وتعلم في كنف جده الجزائري الأصل عبد الرحمان الثعالبي، التحق بالجامع الزيتونة عام 1896م وواصل دراسته العليا بالخلدونية ثم انضم إلى الحزب الوطني الإسلامي وكتب في العديد من الجرائد والصحف، وعام 1898 قصد الأستانة .سنة 1902 قاد لواء السياسة، ومن مؤلفاته :الاتحاد الإسلامي، روح التحرر في القرآن، تونس الشهيدة، وللمزيد ينظر: محمد بوطيبي: دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية 1900-1930، دار الهدى، الجزائر، 2012، ص 116، 117.

³ عبد العزيز الثعالبي : تونس الشهيدة ، تر تق : سامي الجندي ، ط 1، دار القدس ، لبنان ، 1975 ، ص 09.

⁴ توفيق أكياس : "هوية وتاريخ تأثير مدرسة محمد عبده على المفكرين العرب خلال النصف الأول من القرن العشرين"، مقال الكتروني ، [http:// www.anfasse.org](http://www.anfasse.org) ، د ص.

البلاد وعلماءها على حد تعبير الأديب محمد الفاضل بن عاشور¹، لقد كان لأفكار محمد عبده رواج كبير آنذاك في البلاد التونسية ليس فقط بواسطة مجلة المنار التي بلغ من تعلق التونسيين بها أن العدد الواحد منها كان يدار على عشرات الناس، وإنما كذلك بفضل زيارته الأولى 1884 والثانية 1903م، وبذلك أصبحت علاقة صاحب المنار منذ ذلك التاريخ شديدة الروابط بالزيتونيين المتفتحين على الإصلاح، وقد زاد عدد هؤلاء المتأثرين بعبده وتلميذه رضا رشيد بمرور الأيام، وأصبح أعضاء النخبة الإصلاحية بتونس يرسلون الشيخ عبده قبل وفاته²، كما كان لهذه الزيارة آثار هامة في تأصيل أركان الدعوة السلفية الجديدة في مصر بمساعدة رواج مجلة المنار، في النخبة المثقفة في هذا البلد وفي طليعتها مشايخ الزيتونة المتفتحون للإصلاح مثل سالم بوحاجب ومحمد التّخلي القيرواني والطاهر ابن عاشور ممّن فتحوا صدورهم للتشبع بدعوة الأفغاني بعدما هاجر رائد الإصلاح في تونس الوزير خير الدين باشا متخلّيا عن السلطة والإصلاح إلى تركيا سنة 1878م فسقطت تلك النخبة في فراغ إيديولوجي عام وانتابها الخمود السياسي كذلك كما كان لرشيد رضا الفضل في ربط العلاقة الود والاحترام بين الشيخ محمد عبده وبين مشايخ الزيتونة عند مقدمه إلى تونس عن طريق المرسلات ونشر بعضهم الفصول في مجلته المنار³.

وقد ألقى الشيخ عبده محاضراته الشهيرة حول " العلم وطرق التعلم " عند حلوله بتونس على منبر الخلدونية، فأزره البعض منهم في أفكاره، واستشاط البعض الآخر غضبا من الشيخ عبده ومدرسة المنار عموما، وكان في طليعة هؤلاء المفتي المالكي محمد النّجار وبعض من التف حوله مثل الخضر حسين، ودخل جميعهم في حجاج متواصل مع صاحب المنار وألّفوا مجلة "السعادة العظمى" لمهاجمة أنصار الإمام محمد عبده من الزيتونيين المتفتحين، وقد بلغ بهم التعلق بالدعوة السلفية الجديدة في مصر مبلغا عظيما وأصبحوا يتهافتون على قراءة

¹ عبد الوهاب قنّاية : "محمد عبده .مصلح نافذ البصيرة " ، <http://www.albayan.ae/sport> ، 07 سبتمبر 2007، د ص.

² العجيلي التليي : الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881 - 1939، ات كلية والآداب

³ محمد الصالح المراكشي : قراءات في الفكر العربي الحديث والمعاصر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1992، ص 96، 97.

التفسير والفتاوى، وهذا ما أكدّه الفاضل بن عاشور نقلا عن صاحب المنار نفسه وخشوا أن يمنع المستعمر الفرنسي الناس من ترويجها داخل البلاد خاصة قبيل مقدم عبده إلى تونس¹، حيث نجد أن الزيارة التي قام بها محمد عبده لتونس كانت أكثر خصوبة في هذا الإقليم وأثرت فيه أكثر من أي إقليم آخر في شمال إفريقيا ولقد نتج عن هذه الزيارة بذر البذور الأولى لفكرة إنشاء المدرسة الخلدونية الحديثة في تونس، وهي المدرسة التي أنشأها البشير صفر²، كما كان هناك اتجاه مخالف للذين اتبعوا محمد عبده وهم المحافظين³ وهم الذين يرون أن التجديد يتنافى مع الدين الإسلامي وقد اتضح موقفهم بعد أن تأكدوا أن حركة الإصلاح التعليمي مقرونة بحركة الإصلاح الديني، فلما انحاز بعض علماء الجامع الأعظم إلى حركة الإصلاح فواجهوا مواجهة عنيدة من طرف المحافظين، كما تعرضت جريدة "الحاضرة الزيتونية" إلى معارضة شديدة من قبل المحافظين باعتبار أنها كانت تحمل أفكار المصلحين وذلك أن الحركة الإصلاحية في تونس تأثرت بأفكار الشيخ محمد عبده، حيث أن المحافظين كانوا أكثر استياء من دعاة الإصلاح والتجديد وكثير ما كانت تحدث صدمات فكرية لاسيما عند اجتماع رجال إصلاح التعليم الزيتوني، وكثيرا ما كان يتعرض المصلحين الزيتونيين المجددين للاعتقال من طرف سلطات الحماية التي تأييد رأي المحافظين⁴، ومما سبق نستنتج بأن كل التغيرات التي حدثت في تونس نهاية 19م وبداية القرن 20م تعود في أساسها إلى تلك النهضة الإصلاحية التي عرفتها تونس في عهد قبادو وخير الدين باشا حيث رأوا أن انحطاط المسلمين سببه ابتعادهم عن علومهم، ولتطورهم وخروجهم من وضعهم هذا وجب عليهم الاطلاع على العلوم الأوروبية ومن هنا يتضح دور خير الدين في الإصلاح

¹ نفسه، د ص.

² جلال يحيى : المغرب الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرر والاستقلال، الدار القومية لطباعة والنشر، مصر، 1966، ص 1070.

³ المحافظين: قد يحدث تداخل بين المحافظين والمجددين الزيتونيين ، فالاختلاف بينهما يعود بالدرجة الأولى إلى طبيعة الفكر و توجه الشخص ، فقد يكون الشخص الواحد مجددا في مسألة ومحافظا في أخرى . فالمحافظون هم أصحاب نفوذ وارتبطت مصالحهم بالبقاء تونس في ظل الحماية . وللمزيد ينظر. رابح فلاحي المرجع السابق، ص 115.

⁴ رابح فلاحي ، المرجع السابق ، ص ص 113، 114.

بإنشاء العديد من المدارس، منها المدرسة الصادقية التي اهتمت بالعلوم الدينية والعلوم الطبيعية، حيث كان خرجي هذه المدرسة مزدوجي الثقافة. كما كان لتعليم أيضا دور في نمو الوعي الوطني وذلك من خلال جامع الزيتونة الذي لم يكن مسجد فحسب، بل كان أيضا مركزا لنشر الثقافة والدفاع عن الوطن والدين والحفاظ عن الهوية الإسلامية، وإضافة لتعليم هناك جمعيات والصحف التي كان لها دور بارز في تطور حركة الإصلاح كجمعية الخلدونية وكان لدورها ثقافي بعد سياسي، وذلك من خلال تنمية الروح الوطنية وبلورة الوعي السياسي عند الشباب التونسي الذي تأثر بالدروس والمحاضرات التي تآمل ألقاها، وجمعية قداماء الصادقية التي تتمثل غايتها في التعاون ونشر مبادئ العلوم العصرية ويتم توصيل ذلك من خلال تنظيم المحاضرات أسبوعية. أما الصحف التي لعبت دور في تطوير الحركة الإصلاحية في تونس بداية القرن العشرين مثل جريدة الحاضرة السياسية والتي اتجاهاها إصلاحي متبعة في ذلك منهج محمد عبده كما توالى إصدار الصحف وبكثرة في تونس خلال الفترة الممتدة بين (1903-1912) وهي السنة التي زار فيها الشيخ عبده تونس للمرة الثانية التي لاقى فيها حفاوة الاستقبال من قبل العلماء، وفي هذه الزيارة أوصى محمد عبده تلميذه رشيد رضا عدم ذكر جرائم فرنسا في تونس وللجزائر كي لا تمنع المنار من دخول المنار لتونس، وقام الإمام عبده بزيارة العديد من الأماكن في تونس وإلقائه محاضرة بعنوان "العلم وطرق التعليم" علاوة على الزيارة الأولى فان محمد عبده في هذه الزيارة رأى أن تطور العلم في الزيتونة أكثر بكثير من ما هو عليه في الأزهر.

ولقد كان لهذه الزيارة الأثر البالغ في تونس أكثر من أي بلد آخر في شمال إفريقيا تأثروا بزيارته الأولى وبجريدته مع الشيخ جمال الدين الأفغاني "العروة الوثقى"، لكن الأثر الكبير والواضح كان في الزيارة الثانية التي كانت سنة 1903 حيث تأثر به كثير من مشايخ وعلماء الزيتونة، ونجد على سبيل المثال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذي اتبع منهجه وكان يشبهه في كثير من الأشياء حيث سماه محمد عبده "سفير الدعوة" وتعتبر هذه تأسيسية واستنهاضية لحركة النهضة في تونس، كما كان هناك رواج كبير لأفكار محمد عبده حتى

بعد موته تتمثل في مجلة المنار التي كانت تنقل كل إحداث تونس من خلال جريدة الحاضرة. ولقد لاقت أفكار ومنهج الإصلاحى لشيخ محمد عبده تأييد من طرف مشايخ الزيتونة، وكان هناك أيضا معارضين لدعوة الإصلاحية خوفا من اتباع العصرانة وتلاشي عاداتهم وتقاليدهم، ورغم طموحاته ذات النطاق الواسع والتي تتمثل في رغبته لزيارة المغرب، بقيت في رحم أفكاره بعدما وفتة المنية.

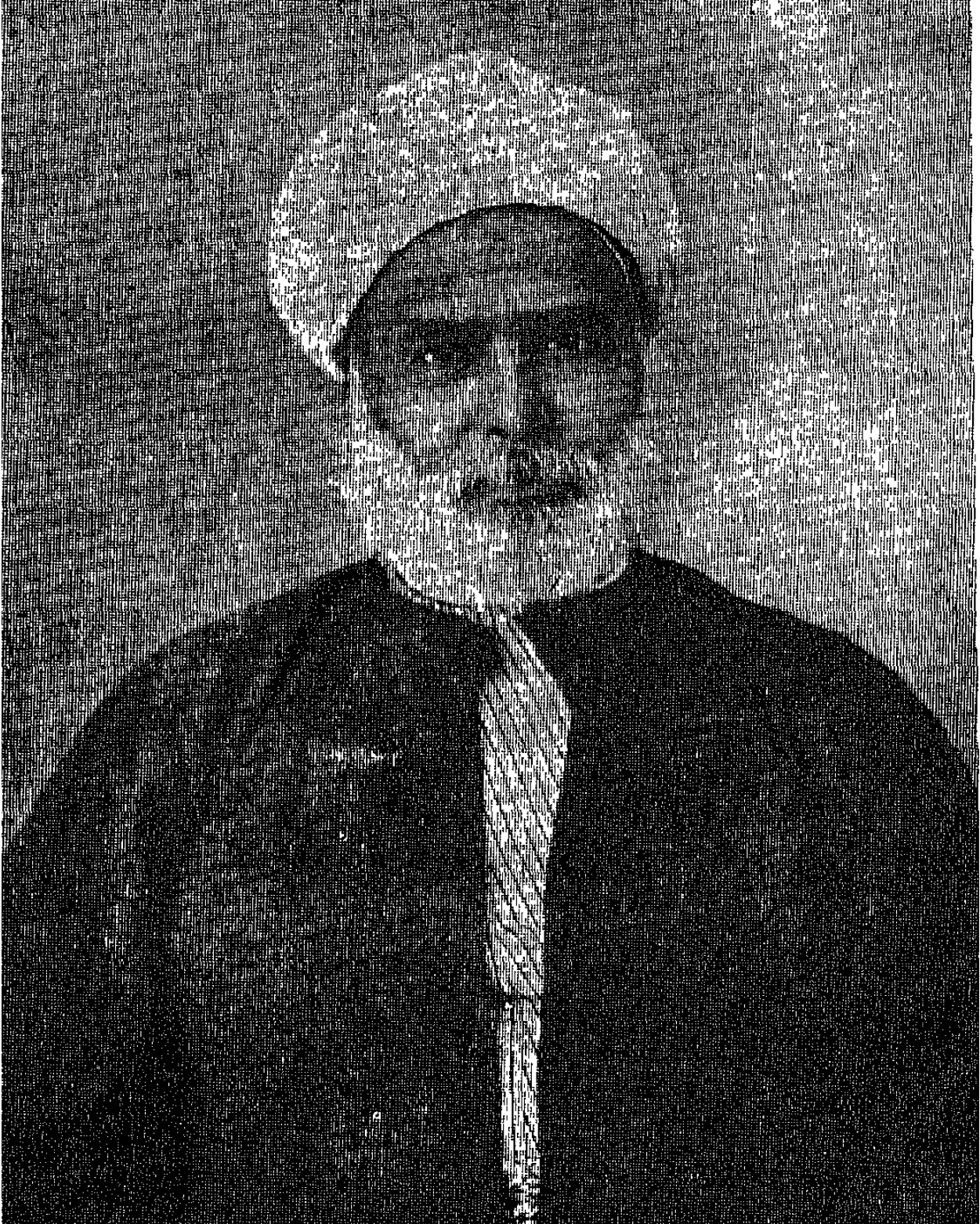
إن زيارة الشيخ محمد عبده لكل من الجزائر وتونس تركت انعكاسات على مستوى النخب، هذا ما يجعلنا نقف على النقاط الآتية :

- إن الشيخ محمد عبده رائد من رواد الفكر الإسلامي بعد أستاذه الشيخ جمال الدين الأفغاني، وهو صاحب الحركة الإصلاحية التجديدية الاجتماعية.
- إن المجتمعين الجزائري والتونسي يعيشان أوضاع صعبة من الناحية السياسية والاقتصادية، والاجتماعية الثقافية بسبب الاحتلال، الذي شل حركة هذين المجتمعين، إضافة إلى صدهم عن مواكبة التطور من خلال الأساليب والطرق التي استخدمها.
- كان المجتمع الجزائري قبل زيارة الشيخ محمد عبده يموج بالانحرافات والخرافات العقديّة الناتجة عن الجهل، الذي كان سببه الرئيسي طبيعة السياسة الفرنسية الاستيطانية، التي ساهمت بصورة بارزة في نشر الأمية وعرقلة حركة النهضة، حيث عمل المحتل على محو المقومات الشخصية بسبب الحرب، التي شنّها هذا الأخير على اللغة العربية والدين الإسلامي، فكان نتيجتها صد الجزائريين عن عقيدتهم الإسلامية، التي تعتبر المحرك القوي والباعث الفعال في بنائه.
- بروز العديد من العوامل التي ساعدت في قيام النهضة في المجتمع الجزائري، في مطلع القرن 20م، ذلك من خلال تعيين الحاكم العام " جوناو "، الذي ساهم في نمو الحركة التعليمية، فأثر ذلك في ظهور فئة النخبة وكتلة المحافظين، الذين ناهضوا الوضع الاجتماعي، وساهموا في إعطاء الخط الأخضر لظهور الحركة الإصلاحية الاجتماعية.
- تشكل الزيارة التاريخية التي قام بها الشيخ المصلح " محمد عبده " للجزائر صيف 1903م، التي دامت عشرة أيام كاملة، وما خلفته هذه الزيارة من آثار بالغة في تمتين الروابط بين الجزائر والأقطار العربية، كما ساهمت أيضا في إحياء مجد هذه الأمة واعتزازها بنفسها، وبعث فيها الأمل في التحرر من نير الاحتلال.

- تعتبر زيارة المصلح الكبير " محمد عبده " سنة 1903م، هي البداية لتاريخ الحركة الإصلاحية، لكن بعد سنوات من هذه الزيارة بدأت أفكاره في الشيوع في أوساط الجزائريين، ذلك من خلال إنشائهم للحركة الإصلاحية، المتمثلة في جمعية علماء المسلمين الجزائريين على يد الشيخ عبد الحميد ابن باديس، والعلامة محمد البشير الإبراهيمي.
- حاول الاحتلال الفرنسي عند فرض حمايته على تونس العمل على طمس الهوية الوطنية من خلال إبعادهم عن حضارتهم العربية الإسلامية، لكن في أواخر القرن 19م بدأت حركة التجديد الفعلية بظهور إصلاحات خير الدين باشا ومحمود قبادو، كما كان لجامع الزيتونة دور في نشأة الوعي لدى التونسيين، نجد كذلك الصحف والجمعيات، التي كان دورها فعالا في نشر العلم والثقافة لدى التونسيين من خلال إلقاء الدروس والمحاضرات.
- تعد زيارة المفتي المصري " محمد عبده " لتونس سنة 1903 الثانية بعد زيارته الأولى، التي كانت سنة 1884م، إلا أن الزيارة الثانية سنة 1903م، هي زيارة تأسيسية إستراتيجية لحركة النهضة في تونس.
- كان لهذه الزيارة الأثر الكبير في تونس، خاصة بعد رواج أفكار الشيخ محمد عبده، ذلك من خلال المحاضرة التي ألقاها، كما يتمثل رواج أفكاره في مجلة المنار التي كان دورها كبير هي الأخرى في تونس.
- وفي الاخير إذا قمنا بمقارنة بسيطة بين البلدين، فنجد أن هناك نواحي كثيرة للاتفاق، كما نجد كذلك نقاط للاختلاف، هذا متمثل في الوضعية الثقافية، خاصة حيث نجد أن تونس سبقة عن الجزائر من الناحية الثقافية، ولأن الجزائر دخلها الاحتلال قبل تونس، كما أن الاستيطان الفرنسي يلعب دورا في تفهقر البلد وتراجعته، كما أن تونس سبقت الجزائر في قيام الحركة الإصلاحية، ذلك من خلال زيارة الشيخ محمد عبده لتونس سنة 1884م، التي لا يمكن نكران آثارها هي الأخرى، إلا أن الجزائر تأخرت في نمو ونشأة حركتها الإصلاحية، التي يمكن اعتبار تاريخ زيارة محمد عبده 1903م، هي البداية الفعلية لها.

الملاحق :

الملحق رقم (01) : صورة الشيخ الإمام محمد عبده¹



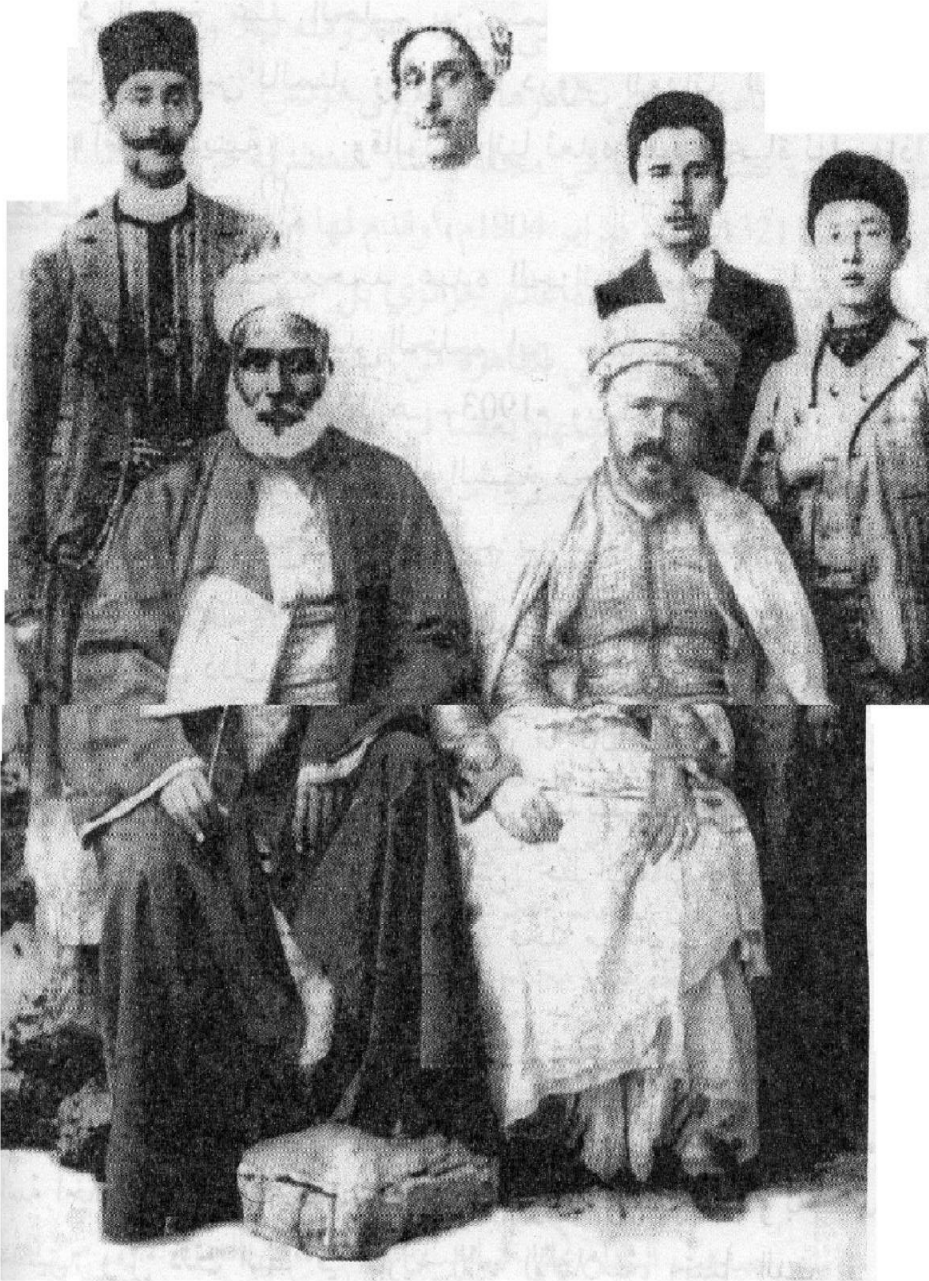
¹ محمد عبده : الأعمال الكاملة لشيخ محمد عبده، ج 1، المرجع السابق، ص 05.

الملحق رقم(02) : صورة جمال الدين الأفغاني²



² عيسى مهني : محمد عبده ومواقفه من قضايا عصره (1849-1905)، مذكرة لنيل شهادة ماستر في تاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014، ص102.

الملحق رقم (03) : صورة لمحمد عبده أثناء زيارته إلى الجزائر³



الشيخ عبد الحليم بن سماية وبجانبه الشيخ محمد عبده أثناء زيارته للجزائر 1903.

³ عبد الرحمان بن محمد الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، ج5، دار الأمة، الجزائر، ص 274.

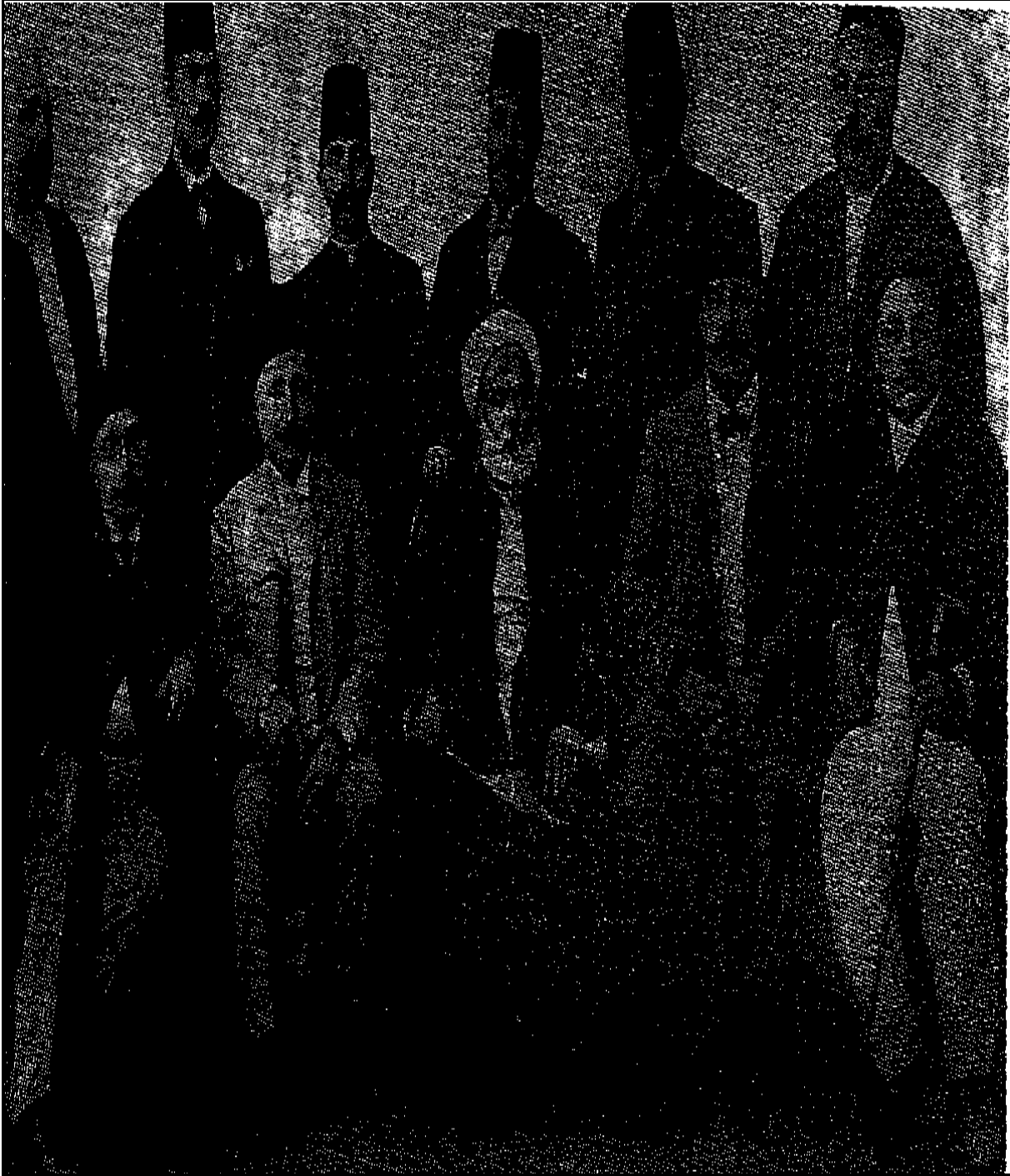
الملحق رقم (04) : رسالة من محمد عبده إلى عبد الحليم بن سماية⁴

حضرة الأستاذ الفاضل عبد الحليم بن سماية... حفظه الله، لا يزال يؤنسني مثال علمك وفضلك، ويعجبني من رفيق من كمالك ونبلك، وما كان ذلك ليفارقني بعد أن صار بضعة مني، ولو كشفت لك من نفسك ما كشفت لي منها لعلمت مقدار ما آتاك الله من نعمة العقل والأدب، ولو عرفت أنك ستكون إمام قومك، تهديهم إن شاء الله إلى سبل الرشاد، وتبصرهم بما يوفر عليهم الحظين، حظ المعاش وحظ الميعاد. هذا هو أمني الذي أسأل الله تحقيقه، فخذ من الرسائل ما يبلغك بفضل الله غاية ما يرمي إليه استعدادك، فيما أرى استمرارك على مزالة كلام البلغاء من أهل اللسان العربي، وإتمام ما سبقت لك البداية فيه من اللسان الفرنسي، وما يكون له الأثر في تحويلها بتدقيق يجدر به لقب التحقيق، ومن ذلك النظر في تاريخ الأمة الإسلامية وتنتقل الدين في أطواره، وعلل ذلك وأسبابه، حتى يتيسر الحكم في أمراض النفوس، وحسن اختيار الدواء الذي يناسبها، ثم التقدم إلى كل سريرة بما لا تشمئز منه ولا تبادر بنفرة عليه، وبذل الجهد في حمل الهمم على طلب العلم لتستتير له البصائر في العمل وشحذ العزائم في الجد على السعي والكد في كسب الرزق، حتى يكثر في الناس من هو جدير بالنسبة إلى رب الناس ولك في ذكاء ولدنا الفاضل الشيخ محمد مصطفى بن خوجة، وإخلاص حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ المفتي الحنفية ما يساعدك على ما تقصد من نفع العامة ونصح الخاصة.

وأنني وإن كنت على ثقة من كمال عقلك ومعرفتك بما إليه حاجة المسلمين اليوم فأني لا أجد مندوحة عن التصريح بالتحذير من النظر في سياسة الحكومة الكلام في ذلك فإن هذا الموضوع كبير خطر قريب الضرر، وإنما الناس محتاجون إلى نور العلم، والصدق في العلم، والجد السعي، حتى يعيشوا في سلام وراحة مع ما يجاورهم من أهل الأمم الأخرى، والعياذ بالله، فيما لا منجاة منه.

كتبها الأستاذ الإمام من "بلرم" عاصمة صقلية ، أثناء رحلته إليها

⁴ محمد عبده: الأعمال الكاملة لشيخ محمد عبده، المرجع السابق ، ص 835,836

الملحق رقم (05) : الشيخ محمد عبده في زيارته الأخيرة لتونس 1903⁵

الجالسون من اليمين: خليل بوحاجب، البشير صفر، الشيخ محمد عبده، عمر قلاتي، محمد بن خوجة. الواقفون من اليمين: عمر بكوش، عبد الجليل زاوش، عمر بوحاجب، علي بوشوشة، ممدوح بك (مصري).

⁵ صالح خرفي : المرجع السابق ، ص 147.

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم: رواية حفص عن عاصم.

أولاً: المصادر

1. الإبراهيمي محمد البشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1192-1940)، تق: أحمد طالب الإبراهيمي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
2. أمين أحمد: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، د ت ن.
3. ابن باديس عبد الحميد: آثار ابن باديس، تص: عمار طالبي، ج1، ط1، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968.
4. الثعالبي عبد العزيز: تونس الشهيدة، تر تق: سامي الجندي، ط1، دار القدس، لبنان، 1975.
5. رضا محمد رشيد: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده (1266-1363هـ / 1849-1905م)، ج1، ط2، دار الفضيلة، مصر، 2006.
6. ———: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده (1266-1363هـ / 1849-1905م)، ج2، ط2، دار الفضيلة، مصر، 2006.
7. ———: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده (1266-1363هـ / 1849-1905م)، ج3، ط2، دار الفضيلة، مصر، 2006.
8. عبده محمد: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تق تح: محمد عمارة، ج1، ط1، دار الشروق، بيروت، 1993.
9. عبده محمد: مذكرات الإمام محمد عبده، تق، تع: الطاهر الطناحي، دط، دار الهلال، د ب ن، د ت ن.
10. المدني احمد توفيق: حياة كفاح مذكرات في الجزائر 1925-1954، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2009.

11. المدني احمد توفيق: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001.

ثانيا: المراجع باللغة العربية

1. أجرون شارل روبير: تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عيسى عصفور، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1982.
2. أمين عثمان: رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده، ط، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د ب ن، 1996.
3. بسكر محمد: أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، ج2، طخ، دار كردادة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
4. بلاح بشير: تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج1، دار المعرفة الجزائر، 2006.
5. بلاح بشير: مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية 1925-1940، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
6. بلاسي أحمد نبيل: الاتحاد العربي والإسلامي ودوره في الجزائر، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1990.
7. بن خليف عبد الوهاب: تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، ط1، دار طليطلة، الجزائر، 2009.
8. بوترو أميل: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، تر: أحمد فؤاد الاهواتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1973.
9. بوحوش عمار: تاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
10. بوخاوش سعيد: مقاومة التيار الإصلاحي في الجزائر لسياسة الفرنسية ودوره في الحفاظ على الهوية العربية (1900-1954)، دار تفتيت لطباعة ونشر، الجزائر، 2013.
11. بوصفصاف عبد الكريم: الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا، ج1، ط1، دار مداد، الجزائر، 2009.

12. بوصفصاف عبد الكريم: جمعية علماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطوير الحركة الوطنية 1931-1945، عالم المعرفة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
13. التليلي العجيلي: الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881-1939، منشورات كلية الآداب، تونس، 1992.
14. ثامر الحبيب: هذه تونس، مطبعة الرسالة، القاهرة، د ت ن.
15. الجابري محمد الصالح: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
16. الجمل شوقي عطا الله: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، ط1، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 1977.
17. جوليان شارل أندري: إفريقيا الشمالية تسير،، تر: منجي سليم وآخرون، ط2، دار التونسية، تونس، 1976.
18. جوليان شارل أندري: المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، محمد مزالي، البشير بن سلامة، دط، الشركة التونسية لنشر، تونس، 1985.
19. الجيلالي عبد الرحمان بن محمد: تاريخ الجزائر العام، ج5، دار الأمة، الجزائر، 2010.
20. الحسني إسماعيل: نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، د ت ن.
21. حميداتو محمد مصطفى: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1997.
22. حميدي أبو بكر الصديق: دراسات وإعلام في الحركة الإصلاحية الجزائرية، طخ، دار المتعلم لنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.
23. حوراني ألبرت: الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، تر: كريم عزقول، دار النهار، بيروت، د ت ن.

24. خرفي صالح: عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
25. داهش محمد علي: دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، دار مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، د ت ن.
26. دبوز محمد علي: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، طباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.
27. دليو فضيل: تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة 1830-2013، ط1، دار هومة الجزائر، 2014.
28. الزرمالي الصادق: أعلام تونس، تق تع: حمادي ساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
29. سالم محمد بهي الدين: ابن باديس فارس الإصلاح وتنوير، ط1، دار الشروق، 1999.
30. سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
31. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
32. شاطر خليفة وآخرون: تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس 2005.
33. شاكر أمين وآخرون: شمال إفريقيا بين الماضي والحاضر والمستقبل، دار المعارف، مصر، د ت ن.
34. شاكر محمود: تاريخ الإسلام- تاريخ المعاصر لبلاد المغرب، ج18، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996.

35. شترة خير الدين: إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900-1939)، دار البصائر، الجزائر، 2009.
36. شترة خير الدين: قضايا تاريخية في الإسهام الفكري والحضاري لنخب الجزائرية بالمهجر وأبحاث في قضايا فكرية معاصرة، ج1، ط خ، دار الصديق لنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.
37. الشريف محمد الهادي: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تع: محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس لنشر، تونس، 1993.
38. صاري أحمد: شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، تق: أبو القاسم سعد الله، المطبعة العربية، الجزائر، غرداية، 2004.
39. صاري جيلالي: بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850-1950)، تر: عمر المعراجي، منشورات ANEP، المؤسسة الوطنية لنشر وتوزيع، الجزائر، 1968.
40. صاري موسى: رواد الإصلاح في الوطن العربي (محمد عبده 1849-1905)، منشورات سيدي نايل، الجزائر، د ت ن.
41. عبد الله الطاهر: الحركة الوطنية رؤية شعبية قومية جديدة (1881-1956)، ط2، دار المعارف، تونس، د ت ن.
42. عبد المقصود محمد فوزي: الفكر التربوي عند الإمام محمد عبده آلياته في تطور التعليم،
43. عبد الوهاب حسن حسني: خلاصة تاريخ تونس، تق تح: حمادي الساحلي، دار الجنوب لنشر والتوزيع، تونس، 1994.
44. عجالي كمال: الفكر الإصلاحي في جزائر الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد، شركة مزوار لنشر وتوزيع، الجزائر، 2005.
45. العراقي عاطف: الشيخ محمد عبده 1849-1905 بحوث ودراسات عن أفكاره، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د ب ن، 1995.
46. العقاد صلاح: المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى)، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1993.

47. العقاد عباس محمود: المجموعة الكاملة التراجم والسير (محمد عبده، عبد الرحمان الكواكبي، رجال عرفتهم)، مج17، ط1، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1980.
48. العقاد عباس محمود: عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده، دار هنداوي، القاهرة، 2012.
49. عمار بن أحمد المختار: محمد الفاضل بن عاشور حياته وآثره الفكرى، د ط، دار القدس، لبنان، 1975.
50. عمامرة تركى رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامى والتربية فى الجزائر، ط5، منشورات ANEP، الجزائر، 2001.
51. عمرى الطاهر: النخبة الجزائرية قضايا عصرية من بداية القرن العشرين إلى ما بين الحربين العالميتين، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2014.
52. عمورة عمار: الجزائر بوابة التاريخ الجزائر الخاصة ما قبل التاريخ إلى 1962، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
53. عمورة عمار: موجز فى تاريخ الجزائر، موجز فى تاريخ الجزائر، ط1، دار ربحانة، الجزائر 2002.
54. عيساوى احمد: أعلام الإصلاح الإسلامى فى الجزائر، ج1، مؤسسة البلاغ لنشر والدراسات والبحوث، الجزائر، 2013.
55. الغالى بالقاسم: شيخ الزيتون الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1996.
56. القصاب احمد: تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، تع حمادى ساحلى، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986.
57. قلجى قدرى: ثلاثة من أعلام الحرية (جمال الدين الأفغانى، محمد عبده، سعد زغلول)، دار الكتاب العربى، بيروت، د ت ن.

58. قنانش محمد: الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939، الشركة الوطنية لنشر وتوزيع، الجزائر، 1982.
59. اللولب حسن حبيب: أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، منشورات سيدي نايل، الجزائر، 2013.
60. لونيسي رابح: التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-1954)، ط1، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2009.
61. المحجوبي علي: النهضة الحديثة، دار سراس، تونس، 1999.
62. محجوبي علي: جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934)، تع: عبد الحميد الشابي، ط1، بيت الحكمة، تونس، 1999.
63. محفوظ محمد: تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982.
64. مراد علي: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر 1925-1940 بحث في التاريخ الديني والاجتماعي، تر: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
65. المراكشي محمد الصالح: قراءات في الفكر العربي الحديث والمعاصر، الدار التونسية لنشر، 1992.
66. مريوش أحمد: الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة، الجزائر، 2006.
67. مقران يسلي: الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل (1920-1945)، ط2، الأمل لنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2012.
68. ملكاوي فتحي حسن: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر رؤية معرفية ومنهجية، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، 2011.

69. مياسى إبراهيم: مقاربات في تاريخ الجزائر 1930-1962، دار غرناطة انشر وتوزيع، الجزائر، 2013.

70. يحي جلال: المغرب العربي الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرر والاستقلال، الدار القومية لطباعة والنشر، مصر، 1966.

71. يزلي عمار: الثقافة في مواجهة الاحتلال دراسة، دار السهل، الجزائر، 1980.

ثالثا: المراجع باللغة الفرنسية

1. Ageron Charles Repert: histoire de l'Algérie contemporaine 1870-1954, tome 2, 1^{ère} édition, presse universitaire de France, France, 1979.
2. Merad Ali: Le réformisme Musulman en Algérie de 1925 à 1940 Essai d'histoire religieuse et social, édition ELHKMA, Algérie, 1999.
3. Mimouni Ahmid: Ben Badis par lui-même textes de cheikh Abdelhamid Ben Badis, éditions Mimouni, 2009.

رابعا: المعاجم والموسوعات

1. بلقاضي محمد هشام: معجم رجال الدين والإصلاح في الجزائر، صدر عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2011.
2. الهاشمي عبد المنعم: موسوعة تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ج5، ط1، دار الهلال، بيروت، د ت ن.

خامساً: دوريات

1. البوعبدلي المهدي: جوانب مجهولة من آثار زيارة محمد عبده للجزائر 1903، مجلة الأصاله، العددان 54-55، مارس 1978.
2. ابن حسان جمال محمود أحمد: الإمام محمد الطاهر بن عاشور (سيرة ومواقف)، مجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية مج5، عدد2، 2009.

3. رضا محمد رشيد: نصيحة الأستاذ الإمام لأهل الجزائر وتونس، مجلة المنار مج، ج15، شعبان 1321/ أكتوبر 1903.
4. صغيري منير: الفكر الإصلاحى التجديدي للشيخ محمد عبده وآثره على الحركة الإصلاحية في الجزائر 1903-1931، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 06، جويلية 2016.
5. مهديد إبراهيم: الصراع حول الهوية والانتماء العربي الإسلامي من خلال الصحافة الجزائرية جريدة الحق الوهراني نموذجا 1911_1912، مجلة عصور، عدد 6، 7، جوان، ديسمبر، 2005.
6. النيفر أحمد: زيارة الأستاذ الإمام محمد عبده لتونس 1903، نشر في الفجر نيوز، 2010/07/16.

سادساً: الرسائل

1. أوفة سليم: الحراك النهضوي في مدينة الجزائر خلال القرن العشرين (1900-1914)، شهادة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2013.
2. بن رابح سليمان: العلاقات الجزائرية العربية بين الحربين 1919-1939، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007-2008.
3. بن عدة عبد المجيد: الخطاب النهضوي في الجزائر (1925-1954)، شهادة دكتوراه في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2004.
4. بوصفصاف عبد الكريم: جمعية علماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931-1945)، رسالة تقديم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة قسنطينة، 1983.

5. بوقرة زوليخة: سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر جمعية علماء المسلمين الجزائريين نموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، الحاج لخضر، باتنة، 2008.
6. حاجي فريد: عرض لنظرة ابن العنابي وخير الدين التونسي للإصلاح-مسعى والمآل-، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2000-2001.
7. خليل كمال: المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر: التأسيس والتطور (1850-1951)، شهادة ماجستير في تاريخ المجتمع المغربي الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008.
8. دراوي أحمد: الجزائر والجامعة الإسلامية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2006-2007.
9. زوبة نور الهدى، طيبوني حسية: تطور الحركة الوطنية التونسية ودورها في مواجهة الحماية الفرنسية 1904-1919، مذكرة لنيل شهادة ماستر تخصص الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي، جامعة خميس مليانة 2014/2015.
10. عبد النور فتيحة: الروابط الثقافية بين الجزائر وتونس ما بين 1860-1954، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ العربي الحديث والمعاصر، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2013/2014.
11. فلاح رباح: جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر 1908-1954، رسالة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر جامعة منتوري، قسنطينة، 2007/2008.

12. قدح محمد العيد، هزيري عبد الرزاق: الجهود التعليمية لشيخين محمد الطاهر بن عاشور وعبد الحميد بن باديس دراسة مقارنة، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2013/2014.
13. قوادرية قمير: الجمعيات والنوادي الثقافية ودورها في الحركة الوطنية (1900-1939)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014-2015.
14. كريد خديجة: الحركة الإصلاحية في الأوراس محمد الغسيري أنموذجا 1930-1974، شهادة لنيل الماستر في التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014-2015.
15. مطبقاني مازن صلاح حامد: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطوير الحركة الوطنية الجزائرية 1258-1249هـ / 1921-1929م، بحث مقدم للحصول على شهادة ماجستير في الآداب، جامعة الملك عبد العزيز.

سابعاً: المواقع الالكترونية

1. عبد المقصود محمد فوزي: الفكر التربوي عند الإمام محمد عبده وآلياته في تطور التعليم، كتاب الكتروني، www.kotobarabia.com
2. قتاية عبد الوهاب: محمد عبده مصلح نافذ البصيرة، <http://www.albayan.ae/sporys>، 2007/09/18.
3. الموسوعة التونسية المفتوحة: محمد عبده في تونس، مقال الكتروني، <http://www.mawsouaa.nt/wiki>
4. أكياس توفيق: هوية وتاريخ تأثير مدرسة محمد عبده على المفكرين العرب خلال النصف الأول من القرن العشرين، مقال الكتروني، <http://anfasse.org>

الصفحة	العنوان
	الشكر والعرفان
	قائمة المختصرات
9	مقدمة
	الفصل التمهيدي
16	أولاً- التعريف بالشخصية الشيخ محمد عبده ودوره الإصلاحية.
20	ثانياً- أوضاع العامة للجزائر وتونس قبل زيارة الشيخ محمد عبده
	الفصل الأول: زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر 1903
32	أولاً- الوضع الثقافي قبيل وخلال زيارة الشيخ محمد عبده.
37	ثانياً- مسار زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر.
46	ثالثاً- انعكاسات الزيارة على الجزائر.
	الفصل الثاني: زيارة الشيخ محمد عبده لتونس 1903
55	أولاً- الوضع الثقافي قبيل وخلال زيارة الشيخ محمد عبده لتونس.
59	ثانياً- مسار زيارة الشيخ محمد عبده لتونس.
63	ثالثاً- انعكاسات الزيارة الشيخ محمد عبده على تونس.
71	الخاتمة
73	الملاحق
79	قائمة المصادر والمراجع
91	قائمة المحتويات